آداب المريد في نفسه

شرع المصنف في تعداد آداب المريد في نفسه فقال :

{و إن ترد } ايها السالك { آدابه في} ذاته من غير نظر الي غيره { بها } اي بسببها { التي ينال } اي يفوز و يظفر و يصيب { فيض } اي امتلاء { قدسه } اي قلبه المقدس المطهر عن الصفات الذميمة ، امتلاء يزيد عن الحد حتي يتدفق علي الاعضاء فيصير كله شخصا ملكيا و باطنا ملوكتيا ، فهي آداب كثيرة جدا لانه كلما تقدم كلما ترقي الي مقام وجبت عليه آداب كثيرة بالنسبة الي نفسه و شيخه و و قته و ربه سبحانه و تعالي و نبيه صلي الله عليه و سلم و اخوانه و المسلمين .

و قد ذكر المصنف قدس سره منها هنا ما يتعلق بالمريد في حال بدايته ، اذ هو الذي يمكن الكلام عليه دون غيره فقال :
{الذل } المراد به التذلل و الخضوع بين يدي ربه تبارك و تعالي { و الفاقة } اي شدة الفقر و الاحتياج { ثم المسكنة } التي هي سكون القلب تحت جريان احكام القدر .
فإن المريد المتصف بهذه الصفات يكاد يسلك الطريق في اقرب زمن ، اذ له في كل طرفة عين ترقيات في المقامات .
{و أخذه من كل شيء أحسنه } بان لا يتتبع لرخص بل يأخذ بالاحوط في دينه ، و يخرج من خلاف العلماء الي وفاقهم ما امكن ، طالبا وقوع عبادته صحيحة علي جميع المذاهب او اكثرها ، فإن رخص الشريعة جعلت للضعفاء و اصحاب الضرورات و الاشغال ، و اما القوم ليس لهم شغل الا مؤاخذة نفوسهم بالعزائم و لذا قالوا : اذا انحط المريد عن درجة الحقيقة الي رخص الشريعة فقد فسخ عهده مع الله تعالي و نقضه .

و لا تكبد المشقات التي لا يمكنه المداومة عليها قليلا حتي تسأم نفسه و تضعف قوته ، بل لابد له من الوسط بين التفريط بالاخذ في الرخص ، و الافراط بالأخذ بما لا يدوم مشقته، و هو المعبر عنه بالأخذ من كل شيء أحسنه .
{و ترك حظه } اي نصيبه { و مألوفاته } جمع مألوفة و هي ما تميل اليه النفس و تشتهيه من ملاذ الدنيا ، بان يكون ورعا عن الحرام و الشبهات في مأكله و مشربه و منطقه و سمعه و بصره و يده و رجله و قلبه و فرجه .
و عروة ذلك كله الورع في اللقمة لأن الاعمال تنشأ من جوارح العبد علي صورة اللقمة في الحل و الحرمة ، فلو اراد من يأكل الحلال ان يعصي تعسر عليه ذلك.
قال ابن ادهم قدس سره : اطلب مطعمك حلالا و لا عليك بعد ذلك ان لا تصوم النهار و لا تقوم الليل. يعني نفلا

و ليحذر المريد من الورع رياء و سمعه للناس ، فانه يزداد بذلك مقتا و ذلا و طردا
{و لجتهد } السالك الصادق { في } ترك { ذا } المألوف علي الوجه الموصوف { الي وفاته } .
و ليحذر ان يقصد بذلك الي وقت معين ، كأن يقول اترك الحظوظ و المألوفات الي ان يفتح لي ثم افعل ما اشاء، فانه ان فعل ذلك لا يكن تاركا ، اذ المراد اياس النفس من ذلك لا تشويفها اليه.
ثم الي الجلاس } اي الجلساء كثيري الجلوس معه { و الحلاس } اي الكبراء } من الناس او الاخلاء الذين لا يفارقونه ابدا { يمسي مغيرا } و مبدلا ، و لو تأمل بعين قلبه و نظر ببصيرته لرأي ان البدل خير من المبدل بما لا يتناهي كثرة ، ألا تراه يترك جليسا لا خير فيه الي خير جليس و هو الله سبحانه و تعالي .

و فراغا لغوا الي شغل بذكر ربه ، و صديقا غير مخلص الي نصوح أمين للأمة يأمره بما ينفعه و ينهاه عما يضر و يدل به الي الرشاد، و غرضا مذموما الي غرض الفوز بالقرب في الديار الجنانية ، و هكذا كل متروك من الاول معوض عنه بضده من الافضل و الاكمل ، بل مما لا يسوي و لا يساوي الي ما بذل من النفوس في طلبه، خير تجارة رابحة الي غير ذلك .

{كما} اي مثل ما يجب عليه ان يغير { الأنفاس } اما أن يرد بها الكلام ، و اما ان يراد بها الاوقات ، و التغيير علي الاول بالاذكار و التلاوة ، و التغيير علي الثاني بالعبادة فيها باي نوع كان من انواع العبادات .
و علي كل فلا يتم له واحد منها الا بالتوبة ، و الاقلاع ، و العزم علي عدم العود الي شيء من ذلك .

{مخالفا } في كل ما تقدم { لنفسه الأمارة } بالسوء و هي عند القوم ما كان معلولا من أوصاف العبد و مذموما من افعاله و اخلاقه ، و كثيرا ما يعبرون بها عند مبدا الصفات المذمومة ، كقوله تعالي : [إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ]
و لذلك اعتدت من اكبر اعداء الانسان لصعوبة الخلاص من شرها .
الا تري ان الانسان اذا صافي الاعداء سلم من شرهم ، و اذا صافي نفسه اهلكته، و لذلك كان جهادها هو الجهاد الاكبر .
ثم ان المعلولات من اوصاف العبد الشاملة لافعاله و اخلاقه علي ضربين احداهما : كسب كمعاصيه و مخالفته امر ربه كالزنا و السرقة.
و الثاني : اخلاقه الدنياوية التي طبع عليها ، كالجبن و الجرأة ، و الميل الي اللذيذ .
فهي في نفسها مذمومة و مع ذلك فإن عالجها العبد و نازلها ، اي تركها و انتقل عنها تنتفي بالمجاهدة تلك الاخلاق علي العادة المستمرة ، و ان لم يتغير الطبع ، و هو الميل لكل لذيذ ، و النفرة عن كل كربة .
و النفس الأمارة احد النفوس السبعة التي قسمها الصوفية من علماء السادة الخلوتية.

و حيث و صلنا الي هذا المقام وجب علينا تتميما للفائدة ، ان نتكلم عليها بما ينشط السامع ، و يهيج الشوق ، و يذكر ايام المحبة و الصفاء و الوداد .
فنقول و بالله التوفيق :

{ وصل } اعلم اشرق الله قلبي و قلبك بانوار اليقين ، و افاض علي و عليك من علوم العارفين ، ان علما ء النفس قسموا النفوس الي سبعة ، و بالحقيقة انها

نفس واحدة ، لكن تسمي باعتبار صفاتها المختلفة باسمائها ، و هذه النفس هي الناطقة ، و تسمي باللطيفة الربانية ، فكلما اتصفت بصفة سميت لاجل اتصافها بها باسم من هذة الاسماء.

فإذا تدنست بالميل الي الطبيعة و الركون الي الشهوات و اتصفت بالبخل و الكبر و الحسد و العجب و سوء الخلق، و نحو ذلك من القبائح سميت آمارة.
قال الصديق الأكبر :[إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي].
و لما سكنت تحت الامر التكليفي و أذعنت لاتباع الحق ، و عرفت ما ينفعها و ما يضرها لكن بقي فيها ميل للشهوات النفسانية سميت لوامة .
فإن زال هذا الميل و قويت علي معارضة النفس الشهوانية ، و زاد ميلها الي عالم القدس ، و تلقت الالهامات ، و فهم الدسيسات ، سميت ملهمة.
فإذا سكن اضطرابها ،و خشع هيجانها ، و لم يكن للشهوات حكم عليها ، بل نسيتها بالكلية ، و زالت عنها الصفات الذميمة ، سميت مطمئنة.
فإذا ترقت عن هذا و سقطت المقامات من عينها ، و فنيت عن جميع مراداتها ، سميت راضية.
فإذا زاد هذا الحال عليها ، و هو التعلق بالله تعالي و طلب رضاه ، حتي يتساوي عندها وصله و جفاه، سميت مرضية عند الحق و الخلق.
فإذا أمرت بالرجوع الي العباد بارشادهم و بسلوكهم و تكميلهم ، سميت كاملة.

و سمي ذلك عندهم بالمقامات ، فطريق الله تعالي منازل عند اهلها ، يقطعها السالك واحدة بعد واحدة ، الي ان يصل الي آخرها ، فينقطع السلوك و لا تنقطع التجليات و لو بعد الموت.
فالمقام الاول منها : مقام ظلمة الاغيار ، و يسمي بالنفس الآمارة
و الثاني : مقام الانوار ، و يسمي بالنفس اللوامة
و الثالث : مقام الاسرار ، و يسمي بالنفس الملهمة
و الرابع : مقام الكمال ، و يسمي بالنس المطمئنة
و الخامس : مقام الوصال ، و يسمي بالنفس الراضية
و السادس : مقام تجليات الافعال ، و يسمي بالنفس المرضية

و السابع : مقام تجليات الاسماء و الصفات ، و يسمي بالنفس الكاملة .

و كلما كان الانسان في مقام من المقامات ، كان محجوبا به عما بعده .
فمن كان في المقام الاول فهو محجوب بالاغيار عن مشاهدة الانوار
و من كان في المقام الثاني فهو محجوب بالانوار عن الاسرار
و من كان في الثالث فهو محجوب بالاسرار عن الكمال
و من كان في الرابع فهو محجوب بالكمال عن الوصال
و من كان في الخامس فهو محجوب بالوصال عن تجليات الافعال
و من كان في السادس فهو محجوب بتجلي الافعال عن تجلي الاسماء و الصفات
و من كان في السابع فهو محجوب بتجلي الاسماء و الصفات عن تجلي الذات، و هو شيء لا يمكن ، مع ان القوم يذكرونه و يعرفونه.

{ و اعلم } ان بين العبد و ربه سبعين حجابا من ظلمة و نور ، و هي راجعة الي العبد ، لان الله تعالي لا يحجبه شيء، و المراد من الحجب عند المحققين : بعد المناسبة. فافهم ذلك فانه دقيق ، و لا تعتقد ان الحجب امور حسية ، و لا البعد بعد مسافة ، كما يفهمه القاصرون ، فأن الله تعالي منزه عن البعد و القرب الحسيين ، و عن الجهة و المكان و الزمان .
و سلوك الطريق لتمزيق الحجب السبعين ، و هي ترجع الي السبعة مقامات المذكورة ، فالنفس في كل مقام محجوبة بعشرة حجب ، الحجاب الاول منها اكثف من الثاني، و الثاني اكثف من الثالث، و هكذا الي العاشر.
و كذا كل حجاب في نفس اكثف من حجب النفس التي بعدها الي النفس السابعة.

{ فالمقام الاول النفس الامارة }

فسيرها الي الله ، و عالمها عالم الشهادة ، و محلها الصدر ، و حالها الميل ، و واردها الشريعة ، و جنودها البخل و الحرص و الحسد و الكبر و الشهوة و

الغضد و سوء الخلق و الشهرة و الغفلة و الخوض و الايذاء باليد و اللسان ، و الاستهزاء و البغض و غير ذلك من القبائح ، و ذلك لانها واقعة في ظلام الطبيعة المدعوة بالتأثر ، فلا تفرق بين اهل الحق و الباطل ، و لا تميز بين الخير و الشر ، و لا يقدر الشيطان اللعين علي الدخول علي الانسان الا بواسطتها .
فكن منها ايها الاخ علي حذر ، و لا تأمن لها و لا تساعدها و لا تنتصر لها اذا آذاها احد بل كن معينا له عليها .

و حيث تيقنت عداوتها لزمك تقليل الطعام و الشراب و المنام ، لتضعف هذه النفس الشهوانية الحيوانية ، لانها اذا ضعفت هان الخلاص منها .
و ليكن ذكرك في هذا المقام < لا إله إلا الله > و ليكن بمد لا و تحقيق همزة إله و فتح هائه فتحة خفيقة و تسكين آخر لفظ الجلالة، و عدم الفصل بين الهاء و قولك الا الله ، واياك ان تتهاون في تحقيق همزة إله ، فانك ان لم تحققها قلبت ياء، و صار الذكر . لا يلاه يلا الله) و هذه ليست كلمة التوحيد ، فلا ثواب بتكرارها ، فاكثر منها في القيام و القعود و الاضطجاع في جميع الاوقات ، و ذلك بالجهر و القوة فان التأثير المطلوب من هذا الاسم لا يحصل الا بالإكثار و الجهر آناء الليل و آناء النهار ، فإن الذكر بالسر و الهوينا لا يفيد رقيا و يطول به الطريق عل السالك ، بخلافه بترك الغفلة مع الاستحضار و الجهر ، اذا دام علي ذلك ملأ قلبه بالانوار ، و اودع فيه الاسرار.
و هذا الذكر الذي سماه الله في كتابه العزيز بكلمة التقوي ، و الكلم الطيب، و الشجرة الطيبة ، و العروة الوثقي ، فهو افضل الاذكار ، و هو حصن الله تعالي

قال - صلي الله عليه و سلم - عن ربه : " لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي".
و قال -صلي الله عليه و سلم - : " لا إله إلا الله افضل الذكر ، و هي افضل الحسنات ، اسعد الناس بشفاعتي من قالها مخلصا من قلبه ، ما من عبد قالها ثم مات علي ذلك الا دخل الجنة و ان زني و ان سرق و ان زني و ان سرق و ان زني و ان سرق ".

و الملازم علي هذة الكلمة يري لها من الاسرار مالا يدخل تحت حصر ، و تورثه التوحيد الخاص المعروف عند القوم ٠
فادخل يا طالب الخلاص حصن مولاك ، و خلص نفسك من سجن الطبيعة ، لتنال المقامات الرفيعة ، مع المجاهدة و أكل الحلال ، و اصقل مرآة قلبك ليزول عنها الرين المانع لها عن ادراك حقائق الاشياء ، و عن فهم دقائق العلوم ، لان مرآتك و انت في هذا المقام قد علاها الصدأ من الكبر ، و الفجور ، و الطمع ، و العجب ، و الشهوة ، والشهرة ، و الحقد ، و الحسد ، و الغضب، و سوء الخلق ،الي غير ذلك مما تعرفه من نفسك من الجهل و الغرور ٠
فالواجب الاهم في هذا المقام ، الخلاص من هذة النجاسات التي حجبت القلوب عن مطالعة الغيوب بالذكر الكثير ٠

(تنبيه) لا يجوز للشيخ المسلك ان ينقل مريده من الاسم الاول الي الاسم الثاني حتي يطهر من لوث دنس الاغيار ، و تتنور ظلمة ليل وجوده باقمار معارف الانوار ، و يغيب في وجوده عن مسماه في شهوده ، فلا يزال في معراج هذا الاسم صاعدا و بالأشتغال لنيران اشتعال قلبه واقدا ، حتي تناديه روحانياته من غير حجاب و مخاطبة بأفصح خطاب، فحينئذ يشرف علي عالم شهادته و يلبس خلع سيادة سعادته بعد نزع صفات طبائع عادته ٠
فإذا اشتغلت في خلاص نفسك من هذه الآفات و بدلت اوصافها الذميمة باحسن صفات حميدة ، شاهدت بعض العجائب المكنونة و الاسرار المخزونة في صدف البشرية٠

{ المقام الثاني النفس اللوامة }

فسيرها الي الله ، و عالمها عالم البرزخ ، و محلها القلب، و حالها المحبة ، و واردها الطريقة ، و صفاتها اللوم و الفكر و العجب و الاعتراض علي الخلق ، و الرياء الخفي و حب الشهرة و الرياسة ، و قد بقي معها بعض اوصاف الامارة ، لكن مع هذة الاوصاف ، تري الحق حقا و الباطل باطلا ، و تعلم ان هذه الصفات مذمومة و لها رغبة في الطاعات و المجاهدات و موافقة الشرع ، و لها

أعمال صالحة من قيام و صيام و صدقة و غير ذلك من افعال الخير ، لكن يدخل عليها العجب و الرياء الخفي .
فيحب صاحب هذة النفس ان يطلع الناس علي اعماله الصالحة مع انه يخفيها عنهم و لا يظهرهم عليها ، و مع ذلك يكره هذه الخصلة ، و لا يمكنه قلعها من قبله بالكلية و لو امكنه ذلك كان من المخلصين و المخلصون علي علي خطر عظيم قال -صلي الله عليه و سلم - : " كل الناس هلكي الا العالمون و العالمون هلكي الا العاملون و العاملون هلكي الا المخلصون و المخلصون علي خطر عظيم" .

و ذلك لان المخلص يحب ان يكون معروفا بالاخلاص ، و هذا هو الرياء الخفي عند المحققين ، لان الرياء الجلي العمل لاجل الناس ، فإن كنت متصفا بهذه الصفات فأنت في المقام الثاني، و يقال لنفسك لوامة ، و هو مقام لا يسلم صاحبه من الخطر و لو اخلص في أعماله ، و هذا مقام ثاني بالنسبة الي سلوك المقربين الطالبين الفناء عن نفوسهم و البقاء بربهم، الذين أمروا بالموت قبل انقضاء آجالهم فقال لهم موتوا قبل ان تموتوا .

و أما بالنسبة الي الابرار اهل اليمين فهو آخر زمانهم و اعلي مقاماتهم ، و لذلك قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين لأن المقربين لا يقفون عند هذا المقام الثاني بل يطلبون غيره الي ان يصلوا سابع مقام ، فيكون لهم بعد ذلك خمسة مقامات.

و إنما لم يقف المقربون في هذا المقام الثاني لما فيه من الخطر العظيم ، لان اعلي درجات هذا المقام الاخلاص و المخلصون علي خطر عظيم ، و لا يكون الخلاص من هذا الخطر الا بالفناء عن شهود الاخلاص بشهودهم ان المحرك و المسكن هو الله تعالي، شهود ذوق ، و هذا الشهود متوقف علي سلوك طريق المقربين ، و ان الابرار لا تصل اليه و لا تشم رائحته لانهم نظروا انهم اوجدوا أعمالهم فطولبوا بالاخلاص ، و لم يشهدوا ان الله تعالي خالق الافعال كلها ، فوقفوا بالعناء و التعب ، و صار احدهم لو دخل في جحر ضب لقيض الله له من يؤذيه ، و ذلك لما فيه من الشهوة المقتضية للعجب و الكبر و سوء الخلق و نحو ذلك ، و هذة الاشياء مقتضية للتعب و العناء و ضيق الصدر.

و ضرب احدهم مثالا يوضح الفرق بين الابرار و المقربين ، وبين تعب هؤلاء و راحة هؤلاء فقال :
مثال ذلك كشجرة عظيمة خبيثة كثيرة الاغصان كل غصن منها يثمر نوعا من السم القاتل ، فجاء أناس فأشتغلوا بقطع تلك الاغصان و لم يلتفتوا لقطع تلك الشجرة من اصلها ، و لا لقطع الماء عنها لتيبس و ارادوا التخلص منها فلا يمكنهم الخلاص ، لانهم كلما قطعوا غصنا نبت غيره لبقاء الشجرة و دوام سقيها و الآخرون اشتغلوا بقطع الماء عنها ، فضعفت و لم تثمر فتخلصوا منها و اراحوا نفوسهم من تعب هؤلاء ، فالشجرة مثل بطن الانسان ، و المأكل مثل الماء ، و الاغصان مثل الصفات الذميمة كالكبر و الحسد، و الثمرة مثال لما يحصل من هذه الصفات من الآثار في الخارج.

فالأبرار لما علموا ان هذة الصفات مهلكة للانسان في الدنيا و الآخرة ، سعوا في ازالتها شيئا فشيئا ، و لم يقدروا علي الخلاص منها بالكلية لانهم كلما ملؤا بطونهم بالشهوات تقوي بشريتهم و يتمكن منهم الشيطان ، و لما علموا بالدليل و التجربة ان البطن هي منبع الفساد و الصفات الذميمة ، سعوا في الخلاص من شره بالجوع و المجاهدة فتخلصوا من جميع تلك الصفات .
فإذا اردت الانتظام في سلكم و الخلاص من جميع الآلام و الراحة علي الدوام، فاسلك مسلكهم و اقف آثارهم بالترقي من مقام الي مقام حتي تصل الي المقام السابع، ففيه تري العجائب .

و الترقي يكون بالمجهادة و الاشتغال بالاسماء ، ففي كل مقام تشتغل فيه باسم مخصوص بذلك المقام ، و كلما اكثرت من الاشتغال به قربت عليك الفتح في الطريق ، و كلما توانيت و أهملت و تراخيت بعدت عليك ، و اشتغل و انت في هذا المقام بالاسم الثاني و هو < الله > بسكون الهاء ، كذا بسكون آخر كل اسم من السبعة ، و أكثر منه فإنه لا ينفع و لا يظهر العجائب الا الإكثار آناء الليل و آناء النهار، و اجعل لك اوقاتا تجلس فيها مستقبل القبلة اذا امكنك و غمض عينيك و اذكر هذا الاسم بشدة و قوة و رفع صوت ،و ارفع راسك الي فوق و

اضرب به صدرك ، و لا تلتفت يمينا و لا يسارا ، و حقق همزة الله و مد الالف قبل الهاء الساكنة ، و اياك ان تفضي بك العجلة الي ان تقول هلا هلا و لا يكون لك ذلك الا اذا تركت تحقيق الهمزة.

و اعلم انه ليس في الاذكار كلها اوسع مددا و لا أقرب تأثيرا منه في ذلك المحل ، فيطلع الذاكر بالاكثار علي الاحوال الغيبية و الاسرار الملكوتية ، و ما لا يدخل تحت حصر .
و بالحقيقة هو اسم الله الأعظم الذي اذا دعي به أجاب ، و اذا سئل به أعطي بشرط اكل الحلال و المشي علي طريق الكمال، فعليك بالإكثار من هذا الاسم ، فإنه سيد الأسماء و محط رحال العلماء الذي يشير اليه الأولياء و يتحلي به الاصفياء .

ثم اعلم انك في هذا المقام تكون كثير الخواطر ، كثير الوسواس ، ولهذا الاسم نار تحرق ذلك ، فكن مكثرا منه و لا تبال بالخواطر ، فلا يمكنك الخلاص منها بالسرعة لأن مرآة قلبك متوجهة للخلق و لا شك أن المرآة اذا توجهت الي شيء انتقش ذلك الشيء فيها ، فان كنت متعشقا الي زلال الوصال فاترك الخلق و جميع اللذات ، و لازم المجاهدة تنتج المشاهدة ، فاذا أردت المقامات العلية فأترك الخلق بالكلية و انس جميع أهلك ، و اشتغل بربك و هو الفتاح العليم و هذا المقام اول مقامات المقربين .

{ و المقام الثالث النفس الملهمة }

فسيرها الي الله بمعني ان السالك لا يقع نظره في هذا المقام الا علي الله لظهور الحقيقة الإيمانية علي باطنه و فناء ما سوي الله في شهوده و عالمها عالم الارواح ، و محلها الروح ، و حالها العشق ، و واردها المعرفة ، و صفاتها السخاء و القناعة و العلم و التواضع و الصبر و الحلم و تحمل الأذي و العفو عن الناس و حملهم علي الصلاح و قبول عذرهم و شهود ان الله آخذ بناصية كل دابة ، فلم يبق له اعتراض علي مخلوق أصلا .

و من صفاتها الشوق و الهيام و البكاء و القلق و الاعراض عن الخلق و الاشتغال بالحق و التلوين و تعاقب القبض و البسط ، و عدم الخوف و الرجاء ، و حب الاصوات الحسنة ، و زيادة الهيمان عند سماعها ، و حب الذكر و بشاشة الوجه ، و الفرح بالله و التكلم بالعلم و المعارف و المشاهد .

و سميت ملهمة لان الله تعالي ألهمها اما فجورها او تقواها لقوله تعالي :
[فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا]
اي طهرها بالمجاهدة بالهام ما تتقي الله به .
و اعلم انه لا يكون الخلاص من هذا المقام الا بأنفاس المسلك ليخرجه من ظلمات الشبهات الي نور التجليات لانه و هو في هذا المقام ضعيف الحال، لا يفرق بين الجلال و الكمال ، و لا بين ما ألقاه الملك و لا ما ألقاه الشيطان، لأنه لم يخلص من الطبيعة بالكلية و لم يسلب عنه جميع مقتضيات البشرية ، و يخشي ان غفل عن نفسه ان يهوي الي سجين ، و اسفل سافلين ، اعني المقام الاول الذي تسمي فيه النفس بالامارة ، فيرجع الي ما كان عليه من الأكل الكثير و الشرب الكثير و النوم الكثير و الاختلاط مع الخلق ، و ربما يفسد اعتقاده و يترك الطاعات ، و يرتكب المعاصي ، و يزعم انه موحد مكاشف بحقائق الاشياء ، و انه من المحققين ، و ان غيره من اهل الطاعات محجوب عن هذا الشهود ، فإذا فسد اعتقاده و التحق بالكفرة المشركين و العياذ بالله و ضاع تعبه و عناه و ما بلغ مناه ، فظن ان التخيلات الشيطانية تجليات رحمانية .
فالواجب عليك ايها الاخ متابعة الشيخ ، و ان سولت لك نفسك أنك اعلي منه ، و انك موحد و هو محجوب ، و يجب عليك ايضا اتباع الشرع ، و ملازمة الادب ، وان تكره نفسك علي ملازمة الاوراد و تقييدها بقيود الطريق، لانها في هذا المقام ميالة الي الاطلاق و خلع العذار و عدم المبالاة. و المقصود مخالفتها الي ان تطمئن ، و ذلك بالوصول الي المقام الرابع ، ففيه سعادة الدارين و قرة العين ، و متي وضع السالك قدمه فيه خلص بعون الله تعالي من جميع الآفات النفسانية، لانه ترقي الي اول درجات الكمال ، وهبت عليه نسمات القرب و الوصال ، وانتقل من التلوين الي التمكين ، فلا يحتاج الي مسلك الا القليل من السالكين .

فأنهض من رعونات النفس ، و لا تغتر بما لاح لك من التوحيد ، فانه سبب لرجوعك و انقطاعك عن مطالبك العلية ، مستعينا به تعالي علي تمزيق ما بقي من الحجب النورانية ، و اطلب الحضرة الأحدية ، و تعلق باذيال شيخك ، و دم علي ماكنت تفعله من تقليل الطعام و المنام ، و تقليل الاجتماع بالناس ، و لا يغلب علي ظنك أنك اعلم من شيخك فتحرم المدد منه، و اجزم بان خلاصك علي يده ، و تحمل ما تلقاه منه من الأذي ، واياك ان تنكر عليه حالة من حالاته ، و بالجملة ان هذا المقام الثالث مقام تزل الأقدام ، جامع للخير و الشر ، فان غلب خير النفس علي شرها ترقت الي المقامات العلية ، و ان غلب شرها علي خيرها نزلت الي سجين الطبيعة و ارض القطيعة و اسفل سافلين .
فيجب عليك حينئذ اتعاب النفس و تحقيرها ، و علامات غلبة الخير علي الشر انك تري باطنك معمورا بالحقيقة الايمانية بأن تعتقد بان ما في الوجود جار علي وفق ارادة الله ، مقدور بقدرته تعالي ، و يكون ظاهرك متلبسا بالطاعات مجتنبا جميع الكبائر و الصغائر كثير الاجتهاد.
و علامة غلبة الشر علي الخير ؛ ان تترك الطاعات و لا يكون ظاهرك معمورا بالشريعة ، و فيه ضد ما تقدم.

ثم اعلم ان رضا الله تعالي و تجلياته لا تصل للعبد الا من باب الطاعات ، و ان سخطه و طرده و بعده لا يصل اليه العبد الا من باب المعصية ، و لقد اخفي الله سبحانه و تعالي غضبه في معاصيه و رضاه في طاعته ، فقف علي باب الشريعة و آدابها و قفة الذليل و اسأل مولاك و استعن علي مطالبك بتلاوة الاسم الثالث و هو < هو > تظهر ان شاء الله علي الهوية السارية في جميع الموجودات ، لا بشرط شيء و لا بشرط لا شيء ، و ليكن اولا بياء النداء ثم بدونها ، و تكثر من تلاوته في جميع الاوقات في القيام و القعود و الأضطجاع آناء الليل و أطراف النهار ، لتخلص ببركته من خطر هذا المقام ، و به ينقطع ما بقي من التعلقات بالنفس الي المقام الاول و المقام الثاني ، لانها لا تتخلو من الالتفات اليهما ، لأن الطبع يغلب التطبع، و هي تترقب غفلتك ، فمتي غفلت عن سوقها و زجرها عادت لالفلها .

و سوقها في هذا المقام بالعشق و الهيمان و الشوق الي الوصال و الاجتماع مع الاحباء ، والتذكر بمقام المحبوب و التمتع بجمال المعشوق ، فان هذة الاشياء تقوي السالك علي السير خصوصا اذا راي نفسه رجع الي ورائه ٠

و اعلم يا حبيبي انك في هذا المقام تحتاج الي خلع العذار و اسقاط حرمتك من اعين الناس ، حتي لا يكون لك عندهم قيمة و لا قدر و لا ذكر ، لان هذة الاشياء (كلمة غير واضحة) العاشق، و بها يعلم الصادق من الكاذب ، فاخلع العذار و لا تخش من العار فأنك في هذا المقام مقام العشق ، و العاشق لا يعسر عليه خلع العذار ، فإذا أتممت خلع العذار ماتت نفسك الشيطانية القاطعة لك عن مرادك ، و يحصل لك خطاب الروحانين بأمر او نهي او خبر ، فلا تلتفت الي شيء من ذلك ٠
و فائدة خلع العذار خلع الموانع التي تمنع عن لقاء المحبوب ، هذا الخلع عبارة عن فعل شيء من (كلمة غير واضحة) الشرعي لتسقط به من اعين الناس حرمتك

تنبيه :
اعلم ان خواص الاسماء لا تظهر الا بكثرة الذكر الجلي القوي مع المداومة علي الادب ان يكون مستقبل القبلة اذا امكنه، جالسا علي ركبتيه او قائما مغمضا ، و ان يكون خالي البال، و ان يلقي سمعه الي نطقه صاغيا لما يقول مع نظافة الظاهر و الباطن ، فان كنت من هذة الاسباب متمسكا بالشريعة ، فقد قرب الفتح عليك فلا تمل و لا تضجر اذا تعوق عليك الفتح فإنه لابد لك منه لكن بشرط ، الاستقامة و التمسك بالشريعة و الطريقة ، و اجعل ذكرك بهذا الاسم في بعض الاوقات < لاهو الا هو > بمد لا و مد واو هو، لانه ذكر عظيم الشأن ، و كن حالة الذكر كأنك تخاطب اعضاءك بأنه ليس في الوجود الا هوية الحق تعالي ، و ان كل ما سوي الله تعالي فهو آثار صفاته و أفعاله ، فهذا المشهد مشهد الكاملين ٠

المقام الرابع النفس المطمئنة

فسيرها مع الله، و عالمها علام الحقيقة المحمدية ، و محلها السر، و حالها الطمأنينة الصادقة ، و واردها بعض اثار الشريعة ، و صفاتها الجود و التوكل و الحلم و العبادة و الشكر و الرضا بالقضاء و الصبر علي البلاء ، و علامة ذلك في هذا المقام ؛ انك لا تفارق الامر التكليفي شبرا و لا تلتذ الا بالتخلق باخلاق المصطفي -صلي الله عليه و سلم - و لا تطمئن الا لأتباع قوله عليه الصلاة و السلام ، لان هذا المقام مقام تمكين، و في هذا المقام يلتذ بالسالك أعين الناظرين ، و اسماع السامعين حتي لو تكلم طول الدهر لا يمل كلامه ، و ذلك لان له ان يترجم به عما لقاه الله تعالي في قلبه من حقائق الاشياء و اسرار الشريعة ، فلا يتكلم كلمة الا و هي مطابقة لما قاله الله و رسوله ، من غير مطالعة في كتاب و لا سماع من احد ، لانه قد سمع بغير حاسة ما ألقاه الله تعالي في سره و خلع عليه الوقار و القبول ، فيجب علي السالك في هذا المقام الاجتماع مع الخلق في بعض الاوقات ليفيض عليهم مما انعم الله به عليه ، و يترجم عما في قلبه من الحكم الالهية ، و ليكن له مع الله تعالي وقت ، لانه و هو في هذا المقام في أدني درجات الكمال، فلا يناسبه مخالطة الخلق في جميع الاوقات لئلا يحرم الترقي الي المقامات الباقية ، اعني الخامس و السادس و السابع، فمتي راي الفائدة في العزلة اعتزل، او في الاجتماع اجتمع.
و علامة فائدة الاجتماع ان يستفيد الحاضرون مما وهبه الله تعالي من العلم ، أعني علم الصدور لا علم السطور.

< و اشتغل ايها المريد و انت في هذا المقام بالاسم الرابع و هو < حق حق حق بحرف النداء او بدونه ، فأكثر منه و لا تلتفت لما ظهر لك ، و اطلب من ربك ان لا يظهرك علي ما يكون سببا لانقطاعك عن خدمتك .
و لذلك تري المحفوظين من الكمل اذا أظهر الله تعالي علي ايديهم شيئا من الكرامات لا يلتفتون اليها ، و لا يعلمون أظهرت لهم كرامة أم لا، فتركوا ذلك و قالوا كل شيء ما خلا الله باطل ، و كل نعيم لا محالة زائل .

و اذا كانت الكرامات ليست شيئا قبيحا لانها اكرام من الله تعالي الي عباده ، و لكن تطلبها و الميل اليها قبيح قاطع عن حضرات القرب التي لا تنال الا بالعبودية المودع فيها اسرار الربوبية ، و متي احب المريد ذلك خرج من العبودية ، و صار يتظاهر بها علي غيره.

(و أعلم) ان السالك في هذا المقام يجب الاوراد و يميل اليها ، و كذا الادعية ، و يحب حضرة النبي صلي الله عليه و سلم - محبة غير المحبة التي كانت قبل هذا المقام.
و لا تأمن من النفس في هذا المقام و لا في غيره ، فإن العدو الذي غرست في طبعه العداوة لا يؤمن، و ان صار صديقا .
و لأن الانسان متعرض للمحن والبلايا ، و قد يعرض له حب المال هنا ، فلا يضره بشرط ان يكون قصده به الاستعانة علي عبادة الله تعالي ، و علي ان يعين به الاخوان، و ان لا يشتغل قبله بتحصليه ، و ان حصل شيئا منه فلا يخفه عن الناس اظهارا لنعم الله تعالي عليه، و تحدثا بنعمته سبحانه ، و يظهر لهم الفقر من نفسه و التبري من الحول و القوة .
و قد يتعرض عليه في هذا المقام حب الرياسة ، و تدخل عليه نفسه بان يتعرض للمشيخة و الارشاد و اجتماع الناس عليه ليحصل علي يده الاهتداء ، فلا يلتفت الي ذلك فانها دسيسة من النفس، فليحذر منها و يدفن وجوده في ارض الخمول.
و أما إذا اقامه الله تعالي و اشهره و ألبسه ثوب المشيخة من غير سعي منه ، و لا جد و لا تطلب و هو مع ذلك يحب الخمول، فلا بأس بظهوره فانه خير له من الاعتزال.
و علامة اقامة الله له في الامامة أن يكون محبوبا لاخوانه و هم مطيعون له، و لا يري لنفسه عليهم تمييزا كأنهم خير منه من وجه، لانهم يرون انفسهم احقر منه، فيكون هو اعظم احتقارا لنفسه منهم طالبا ذلك دعوة صالحة منهم تدخله في رحمة ربه .

و اذا وصل سالك الي المقام الرابع و صارت النفس مطمئنة ، الا انها لا تصلح للإرشاد لانعدام شروطه ، فينبغي ان لا يستجعل في التقدم حيث كان هناك من هو افضل منه ، و يكمل سلوكه بالترقي الي المقام الخامس فالسادس فالسابع.

اذا عرفت الفرق بين النفوس عرفت انه لا خلاف في المعني بين من قال ان المقامات التي يترقي بها السالك سبعة و هم الخلوتية ، و بين من قال انها ثلاثة و هم غير الخلوتية ، لان غير الخلوتية لا يعدون المقام الاول مقاما ، فيعدون الثاني و الثالث و الرابع، و لا يعدون الخامس و السادس و السابع ، لانهم لم يتعبروا النفوس الذكية باعتبار الفطرة و لاشك ان هذه النفوس اذا وصلت للمقام الذي تكون فيه النفس مطمئنة كملت و صلحت للإرشاد.
أما الخلوتية الذين هذا الكتاب علي مذهبهم ، فجعلوا المقامات سبعة و عدوا اولها مقام النفس الامارة و اخرها مقام النفس الكاملة .
فغير الخلوتية لا يلقنون السالك الا ثلاثة اسماء ، فلا يلقنونه و هو في النفس اللوامة إلا لا إله إلا الله ، و في اوائل الملهمة يلقنونه الله الله الله ، و في آخرها هو هو ، و بهذا الاسم يدخل علي المطمئنة ، و لا يقلنونه غيره بخلاف الخلوتية فإنهم يلقنونه سبعة اسماء في السبع نفوس، ففي الاول يلقنونه لا إله إلا الله فاذا ظهرت العلامة و استحق النقلة لقنوه الله الله الله الي اخر السبعة ، هكذا كلما ظهرت العلامة و هو في اسم نقلوه الي ما بعده الي آخر المقامات.

{ المقام الخامس النفس الراضية }

فسيرها في الله ، و عالمها اللاهوت ، و محلها السر ، و حالها الفناء ، لكن لا بمعني اللفظ الذي مر بيانه، و الفرق بينهما ان ذلك الحال المتوسط في الطريق.
و قد عرف انه ذهول الحواس عن المحسوسات و هذا حال المشرفين علي البقاء الذين هم في آخر السلوك ، و المراد به محو الصفات البشرية و التهيؤ للبقاء من غير ان يعقبه البقاء في الحال، لان ذلك الفناء هو حق اليقين ، و هو بعد الفناء الاول .

و هذة النفس اعني الراضية ليس لها وارد ، لان الوارد لا يكون الا مع بقاء الاوصاف، و قد زالت في هذا المقام حتي لم يبقي لها أثر ، و لذلك كان السالك في هذا المقام فانيا لا باقيا بنفسه كما كان قبل هذا المقام، و لا باقيا بالله كما يكون في المقام السابع، و هذة الحالة لا تدرك الا ذوقا ، و قد يمكن الكامل ان يفهمها للمريد المتهيء للكمال.

و صفات هذة النفس الزهب فيما سوي الله تعالي، و الاخلاص و الورع و النسيان و الرضا بكل ما يقع في الوجود من غير اختلاج قلب ، و لا توجه لدفع مكروه ، و لا اعتراض اصلا، و ذلك لانه مستغرق في شهود الجمال المطلق ، و لا تحجبه هذة الحالة عن الارشاد و النصيحة للخلق و امرهم و نهيهم ، و لا يسمع أحد كلامه الا و ينتفع به ، كل ذلك و قلبه مشغول بعالم اللاهوت و سر السر .
و صاحب هذا المقام غريق في بحر الادب مع الله تعالي لا ترد دعوته ، و الحق ان صاحب هذا المقام ليس له ركون الي ما سوي الله تعالي .
فمتي رأيت نفسك تركن لغيره تعالي فأعلم انك لست من اصحاب هذا المقام ، لان صاحبه اشرف علي سلطنة الباطن التي جميع الظواهر تحت قهرها .

و اشتغل و انت في هذا المقام بالاسم الخامس و هو < حي حي حي > فاكثر منه فيزول فناؤك و يحصل لك البقاء بالحي فتدخل في المقام السادس و تترقي من الوقوف علي الباب الي منازل الاحباب ، و تبعث بالحي و تتصف بالصفات الكاملة ، و هو معني : " كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصربه " المعبر عنه بقرب النوافل.

و اعلم ان من الاسماء اسماء يقال لها فروع و هي الوهاب الفتاح الواحد الاحد الصمد، فأشتغل و انت في هذا المقام بأسم الفتاح أو باسم الوهاب مع الخامس و هو الحي ، ليسهل عليك الانتقال الي المقام السادس ، الذي انت فيه في غاية الاحتياج ، و الله الموفق الهادي .

{ المقام السادس النفس المرضية }

فسيرها عن الله ، و عالمها عالم الشهادة ، و محلها الخفاء ، و حالها الحيرة ، و واردها الشريعة ، و صفاتها حسن الخلق و ترك ما سوي الله تعالي ، و اللطف بالخلق ، و حملهم علي الصلاح ، و الصفح عن ذنوبهم ، و حبهم و الميل اليهم لاخراجهم من ظلمات طبائعهم و انفسهم الي انوار ارواحهم ، و من الميل الذي في النفس الآمارة لانه مذموم.

و من صفات هذة النفس الجمع بين حب الخلق و الخالق، و هو عجيب لا يتيسر الا لاصحاب هذا المقام ، و لذلك لا يتميز صاحبها من العوام بحسب ظاهره ، و اما بحسب باطنه فهو معدن الاسرار.

و سميت هذة النفس بالمرضية لان الله تعالي قد رضي عنها ، و معني كون سيرها عن الله انها اخذت ما تحتاجه من العلوم من حضرة الحي القيوم، و رجعت من الغيب الي عالم الشهادة لتفيد الخلق مما انعم الله به عليها، و حالها الحيرة المقبولة و هي المشار اليها بقوله : ربي زدني تحيرا ، لا الحيرة الحيرة المذمومة الي في اصل السلوك.

و من شأن صاحب هذا المقام الوفاء بما وعد الله ، فلا يخلف الله وعده اصلا، و وضع كل شيء في محله ، فينفق الكثر اذا صادف محله حتي يظن الجهول انه اسرف، و يبخل بالقليل اذا لم يصادف محله حتي يظن الجهول انه ابخل من كل بخيل، و لا يلتفت الي مدح و لا ذم في العطاء.
و من اوصافه ان جميع شئونه في الحالة الوسطي، و هي بين الافراط و التفريط و هذة الحالة لا يقدر عليها الا من كان في هذا المقام .

و اعلم انك في هذا المقام تلوح لك بشائر الخلافة الكبري ، و في آخره تخلع عليك خلعتها ، و هي خلعة " كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و

يده التي يبطش بها و رجله التي يمشي بها ، فبي يسمع و بي يبصر و بي يبطش و بي يمشي ".
و هذة نتيجة قرب النوافل ، و هو ان يكون التأثر للعبد باستعانة الحق، بمعني انه قد اتصف بصفات التأثير من فيض الملك القدير ، فافهم و تحقق في هذا المقام ان السالك اذا وصل الي مقام الفناء و هو المقام المذكور قبل هذا ، تمحق صفاته الذميمة البشرية التي هي محل الانفعال و الشقاوة و الدعوة ، و ذلك هو سبب تقربه بالنوافل ، التي هي الرياضات و المجاهدات للنفس.
و قد جرت عادة الله تعالي ان يهبه كرما منه سبحانه و تعالي صفات تناقض تلك الصفات مؤثرة باذن واهبها ، و هذا هو حق اليقين ، و الحق ان هذه الامور لا تدركها العقول ، و متي حاول ادراكها العقل و قع في الزندقة ، لان الفناء ليس له في الخارج نظير حتي يمثل له ، و كذا البقاء بالله ، و كذا قرب النوافل و الفرائض .
و اشتغل و انت في هذا المقام بتلاوة الاسم السادس و هو < قيوم قيوم قيوم> فأكثر منه تصر حسنات غيرك سيئات لك ، و لا تزل متأدبا بآداب الشريعة و الطريقة الي ان تنتقل الي المقام السابع طالبا التحقق بالصورة الآدمية التي كانت قبل الملكية التي حقيقتها الحقيقة المحمدية.

{ المقام السابع النفس الذي تسمي فيه النفس بالكاملة }

فسيرها بالله ، و عالمها كثرة في وحدة، و وحدة في كثرة ، و محلها الاخفاء الذي نسبته الي الخفاء كنسبة الروح الي الجسد، و واردها جمع ما ذكر من الاوصاف الحميدة الحسني للنفوس المتقدمة ، و مفتاحها الاسم السابع و هو < قهار قهار قهار > فليكثر السالك منه و هو اعظم المقامات ، لانه كملت فيه سلطنة الباطن ، و تمت فيه المكابدة و المجاهدة ، و تحقق بإشارة قوله تعالي :
{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ}
و ليس لصاحب هذا المقام مطلب سوي رضوان الله تعالي ، حركاته حسنات و انفاسه قدرة و حكمه عبادة.

و اعلم ان اسمه سبحانه و تعالي القهار (كلمة غير واضحة) القطب ، قال المشايخ و منه يمد القطب المريدين الطالبين بالانوار و الهدايات و الإشارات ، و قالوا مهما حصل في قلوب المريدين الطالبين من الفرح و السرور و الجذبات الراجعة لغير سبب ، فهو مدد من القطب عوضا عن أذكارهم و توجهاتهم لربهم ، و صاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادة ، و ذلك اما بجميع البدن او باللسان او بالقلب او بالرجل ، و هو كثير الاستغفار ، كثير التواضع ، سروره و رضاه في تقريب الخلق الي الحق و غضبه في إدبارهم عن الحق ، يرضي برضاه و يغضب بغضبه ، و يحب طالب الحق اكثر من محبة ولده الذي من صلبه ، و هو كثير الاوجاع، قليل الحركة ، ليس في قلبه كراهة لمخلوق، مع انه يأمر بالمعروف و ينهي عن المنكر ، و يظهر الكراهة المجازية لمستحق الكراهة ، و يظهر المحبة لمن هو اهل لها ، لا يخاف و لا يخشي الا الله ، ولا تأخذه في الله لومة لائم، يرضي في عين الغضب ،و يغضب في عين الرضا ، لكنه يضع كل شيء في محله ،متي توجهت همته (كلمة غير واضحة) من الاكوان ، أوجده الله تعالي علي وفق مراده ، و ذلك ان مراده لله لا يطلب الا ما اراده الله ، فإذا اراد شيئا و طلبه من الله تعالي لا يرده ، و الله اعلم .

و في هذا القدر كفاية للطالبين ، و انما اطلنا الكلام تنشيطا للعباد جعلنا الله تعالي و الإخوان من خواص اهل عنايته، و حشرنا الله جميعا تحت لواء صفوته من خليقته سيدنا و نبينا و مولانا و ولي نعمتنا محمد -صلي الله عليه و سلم -.

قال المصنف قدس الله سره { و زاهدا في الإمارة}

اي الحكومة و السلطنة ، فان المريد متي طلب الأمارة في غير {كلمة غير واضحة} هلك و و قع في ضلال لنفسه و اضلال غيره، فانه ربما حدثته نفسه (كلمة غير واضحة) في الطريق و التصدر لإرشاد المريدين قبل الاذن من الاستاذ، و هذا { كلمة غير واضحة} التمام فيجب عليه ان ينفي هذا الخاطر عن نفسه و يجتهد في تهذيبها و الا جرته الي ما لا تحمد عقباه من رعوناتها

الاصلية ، و التحلي بضدها ، فان من رقي سقفا بغير سلم كيف ينجح في ذلك ، و كفاه انذارا في تركها قوله -صلي الله عليه و سلم - : " حب الرياسة رأس كل خطيئة " .
و هذا لعظم خطرها و هي رئاسة الاجسام، فكيف برئاسة القلوب فضلا عن انه لم يتأهل لذلك .

{ و الزهد في الدنيا }
قال الجنيد : الزهد خلو الايدي من الاملاك و القلوب من التتبع.
قال تعالي :وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَّمَّا صَبَرُوا } قيل عن الدنيا.
و قال تعالي :وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْم وَيْلَكُمْ ثَوَاب اللَّهِ خَيْر } قيل هم الزاهدون . فقد سماهم الله تعالي في هذا الموضع علماء.
قال رسول الله - صلي الله عليه و سلم - :" اذا رأيتم الرجل قد أوتي زهدا في الدنيا و منطقا فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة ".
و قال -صلي الله عليه و سلم - : " العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فإن دخلوا في الدنيا فأحذروهم علي دينكم ".
و قال سهل : اعمال البر كلها في موازين الزهاد و ثواب زهدهم زيادة لهم.
و سئل الشبلي عن الزهد فقال : الزهد غفلة لان الدنيا لا شيء و الزهد في لا شيء غفلة .
قال غيره : لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهوانها عندهم .
قال الامام السهراوردي : و عندي ان الزهد في الزهد غير هذا ، و انما الزهد في الزهد بالخروج من الاختيار في الزهد ، لان الزاهد اختار الزهد و اراد وارداته تستند الي علمه ، و علمه قاصر ، فاذا اقيم في مقام ترك الارادة و انسلخ من الاختيار كاشفه الله تعالي بمراده ، فيترك الدنيا مراد الحق لا بمراد نفسه، فيكون زهده بالله تعالي حنيئذ ، او يعلم ان مراد الله منه التلبس بشيء من الدنيا ، فما يدخل بالله في شيء من الدنيا لا ينقص عليه زهده ، فيكون دخوله في الشيء من الدنيا بالله و بإذن منه ، زهدا في الزهد ، و الزاهد في الزهد استوي عنده وجود الدنيا و عدمها ، ان تركها تركها بالله ، و ان اخذها اخذها بالله ، و هذا هو الزهد في الزهد.

و قد رأينا من العارفين من أقيم في هذا المقام.
و فوق هذا المقام مقام آخر في الزهد ، و هو لمن يرد الحق اليه اختياره لسعة علمه ، و طهارة نفسه في مقام البقاء ، فيزهد زهدا ثالثا ، و يترك الدنيا بعد ان مكن من ناصيتها و اعيدت عليه موهوبة ، و يكون تركه الدنيا في هذا المقام باختياره، و اختياره من اختيار الحق تعالي ، فقد يختار تركها حينا تأسيا بالأنبياء و الصالحين ، و يري ان أخذها في مقام الزهد في الزهد رفق داخل عليه لموضع ضعفه عن درك شأن الاقوياء من الأنبياء و الصديقين ، فيترك الرفق من الحق بالحق للحق ، و قد تناوله باختياره رفقا بالنفس بتدبير يسوسه فيه صريح العلم ، و هذا مقام التصرف لاقوياء العارفين زهدوا ثالثا بالله ، كما رغبوا ثانيا بالله ، كما زهدوا اولا لله.

اذا علمت ذلك فاحرص علي الزهد { فذاك واجب }
قال الامام القشيري : و منهم من قال الزهد في الحرام واجب، و في الحلال فضيلة، فإن حلال المال و العبد صابر في حاله راض بما قسم الله له ، قانع بما يعطيه أتم من توسعة (كلمة غير واضحة) في الدنيا، و ان الله تعالي زهد الخلق بقوله سبحانه و تعالي : [قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى] .
الي ان قال ، و منهم من قال لا ينبغي للعبد ان يختار ترك الحلال بتكلفه ، و لا طلب الفضول مما لا يحتاج اليه و يراعي القسمة فان رزقه الله تعالي مالا حالالا شكره ، و ان وقفه الله تعالي علي حد الكفاية لم يتكلم في طلب ما هو فضول المال، فالصبر أحسن لصاحب الفقر ، و الشكر احسن لصاحب المال الحلال، و هذا كله بالنسبة الي اصحاب المقامات.
و أما بالنسبة للمريد في بدايته فالاليق به الزهد مطلقا لان تعلقه بها مانع له من مقامات الصوفية كما قال :

{ و حبها } اي الدنيا { له أخي} بالتصغير { حاجب } و مانع مقام العرفان .
قال-صلي الله عليه و سلم - : " حب الدنيا رآس كل خطيئة و تركها (كلمة غير واضحة) كل عبادة".

{و القنع } بمعني القناعة ، قال محمد بن علي الترمذي :
القناعة رضا النفس بما قسم لها من الرزق ٠
و يقال هي الاكتفاء بالموجود و زوال الطمع فيما هو ليس بحاصل٠
{ قال تعالي :مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}
قال اكثر المفسرين : الحياة الطيبة في الدنيا هي القناعة٠
عن ابن عبد الله رضي الله تعالي عنه- قال : قال رسول الله -صلي الله عليه و سلم - : " القناعة كنز لا يفني "٠
و عن ابي هريرة -رضي الله تعالي عنه - قال : قال رسول الله -صلي الله عليه و سلم- : " كن ورعا تكن أعبد الناس، و كن قنعا تكن أشكر الناس ، و حب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، و أحسن مجاورة من جاورك تكن (كلمة غير واضحة) ، و أقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب"٠
و قيل الفقراء اموات الا من احياه الله بعز القناعة٠
و قال بشر الحافي رحمه الله تعالي : القناعة ملك لا يسكن الا في قلب مؤمن ٠

{و الكفاف } في الرزق ، و هو ما كف عن الناس و أغني ، و المراد أن المريد لا يأخذ فوق ذلك ، فان أخذه يشغله عن مقصوده من السير ، فان خفيف الجراب ليس كمملوء الوطاب٠
سأل الرشيد أهل مجلسه من اسعد الناس ؟ فقالوا: ما نري احق بهذا الجواب من أمير المؤمنين ، فقال : أخطأتم الصواب ، ان لا عود المنبر لهيبة و ان لورود البريد لروعا أسعد الناس في الدنيا من رزق الكفاف و عاش لا يعرفنا و لا نعرفه٠
{و المواددة } أي المحابة اي التحابب للناس في الله تعالي٠
{و الكد } اي الالحاح و الطلب { و الجد } هو الحظ و المراد به حد الطاقة
{كذا المجاهدة } اي المبالغة في الاخذ بالاحوط ، و تحمل المشقة مع المواظبة علي ذلك في الطاعة و الاخلاص فيها، و تقدم في ذلك كثير٠

و لما كانت ثمرة المجاهدة المشاهدة وهي اعظم مقصود قال :

{ فمن يجاهد } نفسه في الطاعات { في } طلب { المني } اي ما يتمني كالقيام في الاسحار و التوبة من الاوزار و صب الدموع الغزار و مناجاة الحق بالاوراد و الاذكار { يشاهد سنا } اي نور { الحبيب } و هو الحق سبحانه و تعالي ٠

قال ابو عثمان المغربي : من ظن أنه يفتح له بشيء من هذه الطريقة ، او يكشف له عن شيء منها الا بلزوم المجاهدة فهو في غلط٠
و قال ابو علي الدقاق : من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائرة بالمشاهدة٠
ثم استدل بقوله تعالي : { و الذين جاهدوا } فينا لنهدينهم سبلنا ٠
و اعلم ان من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجب من هذة الطريقة شمة٠
و قال ابو علي الدقاق : من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة٠
و قال ايضا : قولهم الحركة بركة حركات الظواهر توجب بركات السرائر٠
و قال ابو يزيد البسطامي قدس الله سره : كنت ثنتي عشرة سنة حداد نفسي ، و خمس سنين مرآة قلبي، و ستا أنظر فيما بينهما فإذا في وسطي زنار ، فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه ، فكشف لي فنظرت الخلق فرأيتهم موتي فكبرت عليهم اربع تكبيرات٠
فهكذا هكذا تكون المجاهدة ، و هكذا تكون الرجال، و هكذا تكون الثمرة٠

{ و كل من ليست له بداية محرقة لم تشرق النهاية }

اعلم ان للمريد بداية و نهاية، فبدايته حال سلوكه و نهايته حال وصوله، فمن صحح بدايته بالرجوع الي الله تعالي ، و التوكل عليه ، و الاستعانة به في ان يوصله اليه ، لا علي أعماله أفلح و نجح في نهايته ، و كان وصوله الي الله تعالي فأمن من الرجوع و الانقطاع ٠

قال بعض العلماء : من ظن انه يصل الي الله تعالي بغير الله قطع به ، و من استعان علي عبادة الله تعالي بنفسه وكل الي نفسه، فعلي العبد السالك ان يجعل معتمد أمره الاستعانة بالله تعالي علي ما هو في سبيله ، و لا يري حول نفسه و قوتها في كثير عمله و قليله ، فهذا هو أساس السلوك الذي يبني عليه قواعده.

و معني الإحراق أنه عمر أوقاته بانواع الطاعات و الاوراد و ثابر علي ذلك كل المثابرة .

و عبارته محرقة و عبارة غيره مشرقة ، المراد واحد من اللفظين .

قال ابن عطاء الله : من أشرقت بدايته اشرقت نهايته، و اشراق البداية بالمجاهدة و اشراق النهاية بإفاضة الانوار و المعارف عليه و زوال كدورات النفس الحائلة بينه و بين مولاه علي وجه اتم، و عكسه بعكسه ، فمن كان قليل الاجتهاد في بدايته لم يحصل له اشراق في نهايته، و لو فرض انه فتح عليه كان علي وجه أضعف من غيره.

{ و لا يكن مستبطئ الوصول } الي مقامات القرب و عدم الفتح، بل يعبد الله تعالي سواء فتح عين قلبه و رفع عنه الحجاب ام لا .

قال سيدي محيي الدين بن عربي قدس الله سره :

إياك ان تترك المجاهدة اذ لم تر امارة الفتح بعدها، و هذا الامر لازم لابد منه، و لكن للفتح وقت لا يتعداه ، فلا تتهم ربك فانه لابد لاعمالك من الثمرة ان كنت مخلصا لله تعالي في عملك .

و قال : احذر ايها المريد ان يكون قصدك من ذكرك و عبادتك الاجر و الثواب ، فان ذلك حاصل لك لا محالة ، و انما ينبغي ان تكون همتك التلذذ بمناجاته تعالي و الفوز بمجالسته سبحانه و تعالي ، فإن من عزم علي مجالسة السلطان ينبغي ان لا يهتم بمأكله و مشربه و لا بملبسه ما دام في خدمته .

{فان ذا } اي قصد المأكل و المشرب و الملبس { يقع } اي يحصل { من جهول } اي كثير الجهل بآداب الملوك ، فكيف بملك الملوك ، قد انحطت همته عن نظر الخدمة و تدانت درجته الي اسفل سافلين من التطلع الي ما يحمد النظر اليه في ذلك الحين.

{ فالوصل } بمعني الوصول انما يكون { للمحدود } اي المحصور المتحيز الي جهة المعلومة ذاته بالحقيقة { جل الله } اي تعالي و ارتفع شأنه { عن القيود} كلها اذ هو تعالي ليس له مكان ، و لا يمر عليه زمان ، و ليس في جهة و لا معلوم الحقيقة { ليس هو } بضم الهاء مدودة و سكون الواو { الا هو } كذلك اي ليس في الوجود موجود علي الحقيقة الا هو ، اذ كل ما سواه عدم محض و فناء خالص ، كان الله و لا شيء ، و هو الآن علي ما عليه كان ، فأني يحده أو يحصره مكان.
فكن ايها المريد ذكي الفهم صافي العقيدة تفز بالشهود للذات منزهة عن القيود و الجهات.

{ و لا يسامح نفسه في غفلة } عن الطاعات ، بل يوبخها و يحثها علي السير في الطريق كلما وقفت مع حظوظها ، و يقدم حذف العلائق علي كل عمل ، فإن التخلي عن الرذائل مقدم علي التحلي بالفضائل .
و ينبغي له كلما تعب من عبادة ان يقول لنفسه ؛ اصبري فان الراحة امامك غدا في الاخرة ، و انما اريد بتعبك هنا راحتك في الجنة ، و هكذا يكابد خواطره و يعالج اخلاقه و ينفي الغفلة عن قلبه بمداومة كثرة الذكر و الفكر ، لان عمل المريد الدائم في تنظيف ظاهره و باطنه من الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله عز وجل ، كالغضب و العجب و الحسد و الكبر و نحو ذلك، فإذا تطهر المريد فهنالك يصلح لتلاوة القرآن و مجالسة الحق سبحانه و تعالي و الوقوف بين يديه في الصلاة ، هذا ما درج عليه السلف الصالح.

{ و لا يدع } اي يترك { اعماله لقلة } تحقيرا منه لذلك العمل ، فان هذا جهل محض و خرق في الرأي و سوء في السلوك .
قال -صلي الله عليه و سلم - : " أحب الأعمال الي الله أدومها و ان قل ".
و قال ابن عطاء الله في الحكم : لا يستحقر الورد الا جهول ، فعليك بالإخلاص و لا عليك ان يكون العمل قليلا او كثيرا ، فانه لا قليل مع الاخلاص .

و افضل الاعمال عمل خرج عن قلب طاهر حاضر و ان قل، و الحق انه ليس بقليل .

{ و لا ينام الثلث الاخيرا } بالف الاطلاق ، فإنه وقت السحر ، هو وقت الإجابة و العطاء و التجليات ، و النوم ليس فيه فائدة دنيوية و لا أخروية ، و انما هو خسران لانه اخو الموت ، فلا ينامه ابدا .
قال سيدي ابراهيم الدسوقي قدس الله سره : كيف يدعي المريد الصدق في الحب للطريق و هو ينام وقت فتح الخزائن ، و وقت تفريق الغنائم، و وقت نشر العلوم و اظهار المكتوم.
و ليس هذا الادب خاصا بالسحر ، بل يجب علي المريد تقليل النوم ما امكنه ، و انما للثلث الاخير زيادة معني في ذلك .
و متي حافظ المريد علي ترك النوم في الاسحار فانه { يعطي بذا } القيام و عدم النوم { ندي } اي عطاء يا { أخي } بفتح فكسر { كثيرا} لا حصر له
و ذلك لان الله تعالي اكرم مسؤل ، و متي صدق العبد في العبادة استحال عدم الاعطاء، فانه لا يتوهم ان العبد مع ضعف مروءته يعامل ربه نقدا و يعامله الله ، و هو اعظم الكرماء نسيئة ، و خطور ذلك بالبال من قلة الفهم في اتساع كرم الله تعالي و عظيم رحمته التي وسعت كل شيء.

{ و صحبة الاحداث } هم الغلمان المردان ، و هم المعبر عنهم عند الصوفية بالانتان و الجيف { فاتركنها } فانها الداء العضال ، و القطيعة التي لا نظير لها ، و أما من جهة النص في جواز النظر اليه و لمسه ، فهذة مسئلة اختلف فيها النووي و الرافعي رضي الله تعالي عنهما ، و محل كلامهما أن النظر الي الامرد يحرم بشهوة ، و ان كان غير حسن بالاجماع ، و لو انتفت الشهوة و خيف الفتنة حرم النظر ايضا .
قال ابن الصلاح : ليس المراد بخوف الفتنة غلبة الظن بوقوعها ، بل يكفي أن لا يكون ذلك نادرا ، كذا يحرم النظر الي الامرد بلا شهوة عند النووي رحمه الله تعالي ، لانه مظنة الفتنة ، فهو كالمرأة بل هو اشد اثما من المرأة الاجنبية ، لعدم

حله بحال ، و كذا يحرم اللمس للامرد و ان حل النظر ، لانه أفحش ، و كذا الخلوة به ان حرم النظر ، فانها أفحش و أقرب الي المفسدة .
و المعتمد من مذهب امامنا الشافعي رضي الله تعالي عنه - الذي قاله الرافعي : وهو ان النظر الي الامرد لا يحرم الا بشهوة ، هذا هو المعتمد المفتي به .
و الذي قاله الامام النووي رحمه الله تعالي : من اختيار سد للباب في ذلك الزمان ، و انظر الي زماننا هذا .
و ضابط الشهوة المحرمة كما قال الامام السبكي : ان ينظر الي الوجه الجميل فيلتذ به، فإذا نظر ليتلذذ بذلك الجمال فهو النظر بشهوة ، و هو حرام باجماع قال ؛ و ليس المراد ان يشتهي زيادة علي ذلك من الوقاع او مقدماته ، فان ذلك ليس بشرط ، بل زيادة في الفسق ، وانما جوز الصوفية مصاحبتهم لتعليمهم الحق و الخير، و صونهم عن الشر بشروط أن يجلسوه خلف ظهورهم ، و أن يعلموه الخير و أن لا يمسوه و ان لا يناموا معه.
و إذا كانوا في سفر أقاموه وحده و اذا كانوا في الحضر أناموه في خلوة وحده، فيكون في النهار خلفهم و في الليل وحده في الخلوة، و أن لا ينظروا اليه حتي تطلع لحيته ، وان يآمروه بخفض صوته ، فإن كان بهذه الشروط جازت لهم صحبته و الا فهو المقت البحت.
و إنما جعلوا الشرط كونه خلف الظهر لئلا ينظروا اليه او يمسوه ، و لذلك امروه بغض الطرف و اطراق الرأس و خفض الصوت ، و ارشدوه الي طريق الخيرات فإذا رأوا منه خيرا و رشادا و سلوكا أحبوه لاجل ذلك و كتموا عنه المحبة و لم يعلموه بها حتي يكمل عقله و يطلع شعهره في وجهه ، لان الصغير ما دام في سن الصبا لا يؤلف به ، لانه ناقص سريع التغير ، فإذا طلع الشعر في وجهه و كمل عقله و ثبت قدمه في الطريق أمنوا عليه ، فاعلموه بالمحبة له و نظروا اليه .

{ كذا مؤاخاة النساء مل عنها }
ان كنت ممن وفق و غض الطرف عن ذلك ، قال سيد الطائفة الجنيد قدس الله سره : آفة المريدين مصاحبة الأحداث و النسوان.

قالوا : من آداب المريد ان يغض بصره عن الصور الحسنة ما أمكن فإن النظر اليها كالسم القاتل و السهم الصائب في قلبه فيقتله ، لاسيما اذا نظر بشهوة ، اذ لا يخفي ان بدن الاجنبية كله عورة لا يحل النظر الي شيء منه، و كذا أمة غيره ، و انماييباح النظر للخطبة الي الوجه و الكفين، و للحكيم اي الطبيب بقدر محل العلة مهما كان .

و شرط الصوفية في جواز التليقين لهن ان يضع يده أي يد الأستاذ في أناء فيه ماء و تضع يدها فيه ، كذلك مع غض طرفها و طرفه ، و أن لا يختلوا بها في حالة ما لقوله-صلي الله عليه و سلم - : " ما خلا أجنبي بأجنبية الا كان الشيطان ثالثهما".
و أن يأمروهن بجميع ما تقدم بالنسبة الي الامرد ، فينبغي للمريد ان يسكن الي شيء مما تقدم من المردان و النسوان الا اذا قاس نفسه علي ما قدمنا، و كان كما وصفنا .

قال المصنف { إلا بشرطها لدي } اي عند { الأخيار } من اهل الطريق و الضمير راجع الي القسمين معا ، و قد علمتها اذا فحافظ علي العمل بغاية الجد و الجهد { تنجو } اي تخلص { بذا} العمل الصالح في { سائر } اي عامة { الأدوار} اي الأحوال التي تعرض للمريد ، اذ التمسك بهذة العروة هو النجاة التامة في الدنيا و الآخرة من جميع احوالهما .

ثم ان المصنف لم يكتف بذلك التأكيد ، بل اكد تأكيدا اشد و حذر تحذيرا أهم فقال :
{ و ذا علي المريد أمر } عظيم { يلزم } اي يحتم لا يمكن لمريده مفارقته في كل وقت من اوقاته { ان كان } ذلك المريد الصادق { رأيه } اي اعتقاده { بذاك } الالتزام { يحزم } اي يضبط و يأخذ فيه بالثقة { و ان يكن } المريد حال دخوله الطريق { ذا عزبة } لا زوجة له { لم } يجز له ان { يدخل } اي يتزوج ما دام في حجر التربية،و مهد الطفولية و حجر الوصاية قاصرا عن النهاية.

{ الا اذا فاز } اي ظفر { بنهج } اي طريق { الكمل } هم البالغون في السلوك الذين خرجوا من ضيق الحجر الي حضرة الاطلاق.
{ و ان يكن ذا زوجة لم يفرغ } اي يطلق لان طريق القوم ليست بالرهبانية و اكل الشعير، إنما الطريق ان يحفظ المريد أوقاته عن الضياع في اللهو و الغفلة و عدم الملل من العبادة و يتمسك بهذا الأدب { حتي يصير مثل ما قد ينبغي } اي يطلب في هذا السبيل ، و ذلك بعد انتهاء سيره و وقوفه في حضرة ربه و مراعاة وقته ، و بالجملة فانه ما دام مريدا لم يبلغ درجة الواصلين لا يجوز له ان يأتي بأمر ما من قبل نفسه ، بل لابد من مشورة استاذه في ذلك .
{ و بعد ذا } اي وصوله و تمامه و انتهاء سيره { يكون في حكم القضا } اي معه حيثما وجهته الاشارة الباطنية توجه فهو في حكم وقت { ما } أي أي فعل { يرتضي الحق } سبحانه و تعالي و تقدس ، و جاءت الاشارة الباطنية بالامر باجرائه او تركه { تلقي } ذلك بالقبول و الاذعان { و أرتضي } أي و أجري فعله علي مقتضاه.

و من أهم آدابه التي لا ينبغي تركها لحظة ما ذكره المصنف بقوله :
{ ليس له } اي المريد الصادق في سلوكه { يا صاح} اما مرخم صاحب فيكون الاستاذ المصنف قدس الله تعالي سره ، بشره بانه ملازمه و مراعيه في سيره ، اذا الصاحب المعاشر و هكذا كل من اتسعت دائرة قلبه من العارفين الاقطاب، فانه لا يزال يمد كل مريد أتي بعده بصدق ، اذ الصادق جميع الكون يمده ، و ليس ذلك بغريب فإن المصنف قدس الله تعالي سره من الاقطاب الذين بلغوا شأوا عظيما ، و لم يزل الي الآن يمد المريدين بامداده في أوراده كورد السحر و غيره ، و ينفع السالكين بمؤلفاته كذه المنظومة و غيرها جزاه الله عنا و عن جميع المسلمين خيرا و أشهده الله تعالي ذاته التي برؤتها تقر العيون.

و أما منادي صاحي محذوف الياء ضد السكران ، وهو الذي أفاق من سكرة الشباب و ترك الصبا و الاعجاب، و وقف شوقا لدي الباب يرجو و لو نظرة من الاحباب ، و سماه بذلك لانه استحق هذا الاسم حيث عمل بما تقدم { يخطو خطوة } المراد يفعل فعله ما { الا باذن } صريح صادر { من جميل } أي حسن

{ الحظوة } أي المكانة عند الله سبحانه و تعالي ، ثم بينه بقوله { استاذه } اذ هو القائد و الدليل و ما دام تحت قيادته فما لواحد من العالمين عليه حق و لا له عليه امارة حتي { و لا لوالد و لا لأمه } كما تقدم في آداب المريد مع استاذه.

ثم انه افاد ان مدلول هذه القضية { عن الأولي } أي الأولين من السلف الصالح -رضي الله تعالي عنهم - { قد نقلا } بالف الاطلاق الينا بطريق الرواية الصادقة ، معنعنة حدث بها شيخ عالم ورع تقي فاضل قطب امام عن مثله و هكذا الي -رسول الله صلي الله عليه و سلم- عن الله عز و جل.

{ فإن من يقصد وجه الحق } تعالي و تقدس { تسقط عنده حقوق الخلق } اذ الانسان لا يمكنه الجمع بين الاثنين ، و لا أحد مقدم عن الله سبحانه و تعالي ، و غاية ما هناك أن يقال ان للوالدين حقوقا فكيف تهجر و لا يعتني بها ، فيجاب بقوله { و ان يكن حقان } واحد للخلق مهما كانوا و لو أبويك و الثاني لله تعالي {قد تعارضا} بحيث لا يمكنك الاتيان بواحد منهما حتي يفوت عليك الاخر أفتري أحدا يفتيك ان تترك ربك خلف ظهرك فلا تعبأ بحقوقه ، و تأتي بحق غيره من ابويك او غيرهما من الخلق ، لا يمكن ذلك ابدا و حيث كان كذلك
{ فالحق } المقدم { للحق } سبحانه و تعالي من غير تردد و لا مماحكة ، و هذة القضية التي لا يمكن احدا من المسلمين انكارها و لا الخروج عن مقتضياتها اذ علمت ذلك { فدع من عارضنا } أي اهجره فإنه لا رأي له ، و كذلك الصابر ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر ، و الصبر ثبات القلب بين يدي الرب سبحانه و تعالي .
و في الحديث عن رسول الله -صلي الله عليه و سلم- :
"من أعطي فشكر و ابتلي فصبر و ظلم فغفر و ظلم فأستغفر ، ثم سكت رسول الله صلي الله عليه و سلم ، فقالوا : ماذا يا رسول الله ؟ فقال : أولئك لهم الأمن و هم مهتدون ".
اي لهم الأمن في الآخرة و هم مهتدون في الدنيا .

قال الإمام القشيري -رحمه الله تعالي-:

و من كلامهم الوقت سيف أي كما ان السيف قاطع ، فالوقت بما يمضيه الحق فيه و يجريه غالب، و قيل السيف لين مسه قاطع حده ، فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم ، كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا، و من عارضه انتكس و تردي ، و من ساعده الوقت فالوقت له وقت و من ناكده الوقت فالوقت له مقت، و الكيس من كان بحكم وقته ان كان وقته بالصحو فقيامه بالشريعة و ان كان وقته بالمحو فالغالب عليه احكام الحقيقة.

فقد بان لك من جميع ما تقدم أنهم يطلقون الوقت علي ما غلب من الحال ، و ه من المقدورات بغيراختيار، و انهم لقبوا الوقت بالسيف لانه يقطع عمر العبد فأن لم يقطعه بخير انقطع عمره بغفلة ، و يشترط في تسميته وقتا أن لا يستغرق العبد حتي يغيب عن احساسه ، بل لابد ان يدرك ما هو فيه من غلبة حال او عمارة وقت او تصريف الحق ، و لو استغرق لم يسموه وقتا .

{ فما الصوفي } بتسهيل الهمزة و جزم الام مع وقفة خفيفة لاجل التشطير اي الحقيقي { الا إذا } الموصوف بالاوصاف المتقدمة { فدع عنك الكسل } فانه شأن الاغبياء الجبناء المتقاعدين عن الهمة الصادقة في طلب الوصول الي المأمول.

{و يحفظ القشر } المراد به الآداب الظاهرة الطاهرة { لصون } اي حفظ { اللب} اي اللباب الخالص ، و المراد به ثمرة الطاعة { بلي } اي نعم { و يسعي } بذلك المتقدم و غيره { في صلاح القلب } اي نقائه من كل ما يهلكه ، فانه بصلاح القلب تصلح الاعضاء و بفساده تفسد .
قال -صلي الله عليه و سلم - :" ان في الجسد مضعة اذا صلحت صلح الجسد كله ، و اذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب ".

{ و يدفن الوجود في الخمول } و هو عدم الشهرة ، و دفن وجودك فيه أن لا تتعاطي اسباب الشهرة بأن تعرض نفسك للمناصب و غيرها مما فيه انتشار

الصيت ، فإن سلكت بعد شهرتك فالواجب عليك التواضع و ان لا تري لنفسك مقاما و لا تري ما أنت فيه من المناصب شيئا عظيما، بل تري ان الخير في تركه ، لكن لا تتركه الا باشارة من استاذك أو بإذن الهي.

{ليرتقي منازل الوصول } الي الله تعالي ، فإن العبد اذا تعاطي اسباب الشهرة في بدايته قل ان يفلح في نهايته ، و بقدر تحققه في وصف الخمول يتحقق له مقام الاخلاص، فمبني أمره في بدايته علي الفرار من الخلق و اخمال الذكر و عدم حب الشهرة حتي اذا فنيت اوصافه و بقي بربه كان مع مولاه ، ان شاء واظهره و ان شاء اخفاه.
فإذا أخمل العبد ذكر نفسه و ألزمها التواضع و المذلة و استمر علي هذا ذلك حتي صار له خلقا و جبلة ، بحيث لا يجد لضعته ألما و لا لمذلته طعما فحينئذ تتزكي نفسه و يستنير بنور الاخلاص قلبه و ينال من ربه اعلي درجات القرب و الخصوصية ، و يحصل علي أوفر نصيب من المحبة الحقيقية .

قال الشيخ ابو طالب : و متي ذل في نفسه و اتضع عند نفسه فلم يجد لذلته طعما و لا لضعته حسا ، فقد صار الذل و التواضع كونه ، فهذا لا يكره الذم من الخلق او وجود النقص في نفسه ، و لا يحب المدح منهم لفقد القدر و المنزلة في نفسه فصارت الذلة و الضعة صفة له لا تفارقه ، لازمة لزوم الزبالة للزبال و الكساحة للكساح ، و هما صنعتان له كسائر الصنائع ، و ربما فخروا بهما لعدم النظر الي نقصهما ، فهذة ولاية عظيمة له من ربه ، قد ولاه علي نفسه و ملكه عليها فقهرها بعزه ، و هذا مقام محمود محبوب .

و بعده مقام المكاشفات باسرار الغيوب ، فإذا كان لابد للمريد من اسقاط جاهه و اخمال ذكره و فراره عن مواضع اشتهاره و تعاطيه أمورا مباحة تسقطه من اعين الناس، و قد بالغ أئمة الصوفية في ذلك حتي عملوا امورا منكرة في اسقاط الجاه ، و رأوا ذلك جائزا لهم ان يعملوه و ان يأمروا به كقصة الذي دخل الحمام و لبس من افخر ثياب الناس تحت ثيابه ، بحيث تري و مشي كمتحير يظن به السرقة فأمسك و صفع و مازال معروفا بلص الحمام .

و كما روي عن ابي يزيد-رضي الله تعالي عنه-؛ اذ امر الشاهد بحلق لحيته و راسه و تعليق مخلاة الجوز في رقبته ، و اعطائه لمن يصفعه من الصبيان و طوافه علي تلك الحالة في المحافل و المحاضر.
و ذكر بعضهم : إنه إذا جاز لمن غص بلقمة ان يسيغها بالخمر عند فقد غيره، مع القطع بتحريمه حرصا علي فوات حياة فانية ، أفلا يجود مثل هذا اذا تعين بالأولي حرصا علي فوات حياة طيبة باقية.

و قد جاء في مدح الخمول أحاديث كثيرة :
قال -صلي الله عليه و سلم - : يقول الله عز و جل : إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه و اطاعه في السر و كان غامضا بين الناس لا يشار اليه بالاصابع و كان رزقه كفافا فصبر علي ذلك. ثم نفض يده فقال : عجلت منيته قلت بواكيه قل عزاؤه.
و قال -صلي الله عليه و سلم - : " رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو أقسم علي الله لأبره".

و قال-صلي الله عليه و سلم - :" ان يسيرا من الرياء شرك و ان من عادي اولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة ، وان الله يحب الاتقياء و الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، و اذا حضروا لم يدعوا و لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدي ، يخرجون من كل غبراء مظلمة ".

و قال -صلي الله عليه و سلم - في ضمن حديث آخر : " يا أبا هريرة ان الله يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة رؤسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال ، الذين اذا استأذنوا علي الامراء لم يؤذن لهم و ان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، و ان غابوا لم يفتقدوا و ان حضروا لم يدعوا و ان طلعوا لم يفرح بطلعتهم ، و ان مرضوا لم يعادوا و ان ماتوا لم يشهدوا".
الحديث .

{و لا يقل } ذلك المريد المخلص { بالكد او بالجد أنال ذا } المقام العلي و الفخر الجلي { و لا } بسبب { أبي و جدي } فإن ذلك جهل و جنون بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده السالكين و المختارين لا دخل للأب و لا للجد فيه.

{ أوراده لا يتركنها أبدا } فإنه متي قطع ورده انقطع وارده ، اذ لا وارد بدون ورد ، بل يلزمه المحافظة علي اوراده التي أفاده اياها أستاذه آناء الليل و آناء النهار علي مقتضي الاشارة الواردة اليه من الاستاذ { لعله يجب ب} سبب المحافظة علي { ذاك } الورد { رشدا} أي هدي و استقامة علي طريق الحق مع تصلب فيه { فكل من ليس له ورد} هو مجموع اذكار و أدعية يقصد بها مناجاة الحق سبحانه و تعالي، و التذلل بين يديه جل و علا و فاء بحق العبودية له تعالي

و سبب وضع العارفين لها تشويق المريدين الي طلب المراد ، هو الله سبحانه و تعالي لان قصدهم جمع الخلق علي الحق و ترقيهم الي منازل الصدق لا مجرد حظ نفس و حب رياسة لتنزههم عن ذلك ، و كل من قطع ورده و تكاسل { فلا وارد يأتيه } و هو ما يرد علي القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد.
و كذلك مالا يكون من قبيل الخواطر ، فهو ايضا وارد ، ثم قد يكون وارد من الحق ، و وارد من العلم ، فالواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب او ما يتضمن معناه ، و الوارد قد يكون وارد سرور و وارد حزن و وارد قبض و وارد بسط الي غير ذلك من المعاني.

ثم بعد ان نفي اتيان وارد علي من لا ورد له قال :
{ و لا يرقي } اي يصعد { العلا } المراد به مقامات العرفان { و من يكن } من المريدين { يترك يوما ورده } بلا عذر شرعي سيما اذا كان قد بايعه عليه شيخه { لم تأت أمداد الحبيب } و هو الله سبحانه و تعالي { عنده } و الأمداد جمع مدد و هو ما يفيضه الله تعالي علي باطن العبد و ظاهره ، فيقوي بذلك علي تحمل الاسرار الواردة عليه، و اليه أشار سيدي ابراهيم الدسوقي قدس الله سره بقوله ما قطع مريد ورده يوما الا قطعت عنه الأمداد في ذلك اليوم .

فإن طريق القوم تحقيق و تصديق و عمل و تنزه و غض بصر و طهارة يد و فرج و لسان ، فإن خالف شيئا من افعالها رفضته و لو كرها ، و حيث كان الامر كذلك فيجب عليه ان يلازمها و ان لا ينفك عنها حسب الطاقة ، فانه يري لذلك اثرا ظاهرا ، فإن القلوب الغافلة أقسي من الصخر و الملازمة علي الطاعة تلينها و توقظها سيما اذا كانت بمبايعة استاذ عارف.

{ و } يجب عليه ان { يحفظ الآداب في الأوراد }
قال -صلي الله عليه و سلم - : " أدبني ربي فأحسن تأديبي ".
و حقيقة الأدب اجتماع خصال الخير، قال ابو علي الدقاق : العبد يصل بطاعته الي الجنة و بأدبه في طاعته الي الله سبحانه و تعالي .
{كيما يجوز } اي يحوي و يحصل { حلية الرشاد} اي الرشاد الذي يتجلي به اذ هو مجموع خصال حميدة يتجمل بها المريد بين يدي ربه فتفاض عليه الكرامات بذلك .

{و ان يكن للذكر } و هو تكرار اسم المذكور { يبتديه * لا يختمن حتي يغيب } عن شعوره بالإستغراق { فيه } أي الذكر ، فان من الوجبات علي المريد ان لا يختم ما بدأه من مجلس الذكر الا اذا حصل له استغراق ليتم تأثيره في القلب ، و هذا من آكد الآداب المعمول بها عندهم .
{ آدابه } اي الذكر و المراد ما يعم الشروط كما هو واضح من كلام المصنف { عشرون } علي ما جري عليه أئمتنا { فأحفظها } للعمل بها و الا فالحفظ مجردا عن العمل لا يفيد.
{و لا تكن تسهو } اي تنسي { و تلهوا } اي تسلو و تغفل { عنها } فإنك ان فعلت ذلك لم تنل من ذكرك الا التعب مع الخيبة .

قال بعضهم للذكر ألف أدب مجموعه في العشرين و هذة العشرون تنقسم الي ثلاثة اقسام : -

الأول : خمسة اشياء و محلها قبل الذكر
و الثاني : اثنا عشر و محلها اثناء الذكر اي في حالته
و الثالث : ثلاثة و محلها بعد الذكر

و قد بدأ المصنف بالقسم الاول منها قائلا :
{ فخمسة قبل الشروع } في الذكر { فاستمع} و ع و حافظ { يا من بذكر الحق } سبحانه و تعالي { في القرب } من رب الارباب و شرب الشراب و الجلوس مع الاحباب { طمع } المراد رجا مع الاخذ في الاسباب ، و اما المتصف بالطمع الحقيقي فلا اهلية فيه حتي ينادي في هذا المقام العظيم شأنه.

الاول منها : { غسل او الوضوء } و المراد ان يكون بدنه طاهرا من الحدث أكبر او أصغر و من نجس ، كذلك فان طهارة الظاهر و المداومة عليها تورث طهارة الباطن، وهي سلاح المريد , كما قال -صلي الله عليه و سلم - : " الوضوء سلاح المؤمن ".
و معناه انه يقاتل به أعداءه من الشياطين و يدفع شرهم عنه سيما في أوقات الذكر فإنها اوقات جهاد معهم و حرب شديدة .
و المراد ان لم يتيسر له الغسل فالوضوء فان تيسر له الغسل فهو أفضل .

الثاني : { توبة } تنوينها للتعظيم ، اي خالصة صادقة نصوح و هي الرجوع عن الاقوال و الافعال و الاحوال ، أقوال الالسنة ، و أفعال الجوارح، و أحوال القلوب. و احكامها قلة الكلام، و قلة المنام ، و قلة الطعام، و العزلة بالقلب عن الانام ، و المشي علي شريعة خير الأنام.
و علامتها أن تحي ماكان عندك ميتا و تميت ما كان حيا،و تحضر ما كان غائبا و تغيب ما كان حاضرا .
تحي القلب بالتوحيد ، و تميت النفس عن هواها، و تغيب اهل الدنيا و تحضر

الموت و تراقبه كل يوم و ليلة ، و تحذف الدنيا خلف ظهرك لانها رأس كل خطيئة ، فأن من لم يفعل ذلك لم يخلص في توبته .

الثالث : { بكا } بالقصر ، سيلان الدموع من غير صوت أي ليغسل أوزاره بمدامع الندم و الاستغفار حتي يصلح لدخول حضرة القهار، فإن لم يبك حقيقة فليتباك لحديث : " فان لم تبكوا فتباكوا".

الرابع : { صمت } باللسان عن الكلام و { سكون } بالجوارح فلا يعبث بالحركة ليحصل له الصدق في الذكر بأن يشغل قلبه بالله و يقول الله بالفكر دون اللفظ ، لئلا يبقي له خاطر مع غير الله .
قال -صلي الله عليه و سلم - : " إن الله غيور لا يحب أن يذكر و يذكر معه غيره. ثم يتبع اللسان القلب.

{ ثم } الخامس من الآداب : { يا من قبلا } النصيحة من مخلص عارف بربه محب لخير أمة نبيه -صلي الله عليه و سلم - من اخوانه و أولاده و بقية المسلمين { أن يستمد } أي يطلب المدد بقلبه عند الشروع في الذكر بهمة صادقة { من مربيه } أي شيخه و استاذه و قدوته و ملاذه ، و ان يديم هذا الاستمداد بأن يستحضره دائما في حال الذكر نصب عينيه و في غير الذكر ، كذلك كما تقدم و قوله { الصبي } بسكون الياء ، بيان لحقيقة المريد فإنه في حجر الطفولية لم يخرج عن حجر التمسك باستاذه ، و لم يستغن عن الاستمداد منه ، اذ هو رفيقه في طريقه الي الله تعالي .
قال -صلي الله عليه و سلم - :" خذ الرفيق قبل الطريق و الجار قبل الدار ".
يفعل ذلك حال كونه { معتقدا } و متيقنا بقلبه { امداده } في الحقيقة و نفس الامر { من النبي } بسكون الياء اذ هو اعني شيخه مجرد واسطة بينه و بين رسول الله -صلي الله عليه و سلم - و كل فيض و كرم و مدد فهو من رسول الله - صلي الله عليه و سلم - و انما الاشياخ -رضي الله عنهم - طريق في وصول ذلك المدد الي المريد .
قال -صلي الله عليه و سلم -: " رحم الله خلفائي و هم و الوسائط.

ثم بدأ في القسم الثاني فقال :
{ ثم له عشرة و اثنان في حالة الذكر لدي } اي عند طالب { الاحسان } من رب الارباب.

الأول { جلوسه كحالة الصلاة } : بأن يكون مفترشا، و الأفتراش الجلوس علي كعب اليسري مع جعل ظهرها علي الارض، و نصب اليمني. هذا اذا ذكر جالسا و هو ذكر الكسالي ، اذ الجلوس علامة علي فتور الهمة و الافضل أن يذكر قائما بحيث يهتز من فرقه الي ابهام رجله ، فإنه دليل الهمة الصادقة .
و أما الذكر متمكنا فلا يكون الا للمنتهين العارفين { مستقبلا } في حال ذكره { لأشرف الجهات } و هي جهة الكعبة المطهرة .
قال -صلي الله عليه و سلم - : " خير مجالسكم ما استقبلتم به القبلة ".
هذا اذا كان وحده ، فان كانوا جماعة تحلقوا . و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا .

{ و } الثاني : { فوق فخذيه يضع يديه } بحيث تسامت رؤس اصابعه ركبتيه منشورة مضمومة الي جهة القبلة كالصلاة ، فانه في حضرة ربه تعالي.

و الثالث ان : { يغمض الأجفان من عينيه } فإن بتغميض عينيه تنسد طرق الحواس الظاهرة ، و بسدها تنفتح حواس القلب الباطنة .

{ و } الرابع : ان { يجلس علي مكان طاهر } فإن نجاسة المكان تمنع من حضور ملائكة الرحمة { في ظلمة } ان وجدت كخلوة أو سرداب تحت الأرض { لاجل } حصول { سر } عظيم خارج هذا الحصر { باهر } اي غالب للعقل فلا يكاد يصفه ، و ذلك بما حصل له من صفاء وقته بسبب جلوسه في المكان المظلم.

{ و } الخامس : { الصدق } في الذكر بان يكون لا لرياء و لا لعجب ، فيستوي عنده السر و العلانية .

قال -صلي الله عليه و سلم - : " الأثم ما كان في باطنك و كرهت ان تطلع الناس عليه ".

{ و } السادس : { الاخلاص فيه } و هو تنقية العمل و تصفيته من شوائب الرياء و قيل تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين . قال تعالي :
[أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ]
عن حزَيفة -رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله -صلي الله عليه و سلم - عن الاخلاص ماهو ؟ قال : سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ما هو ؟ قال : سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو ؟ قال : سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي.
و قد ورد في خبر ان النبي -صلي الله عليه و سلم - أخبر جبريل عليه السلام عن الله سبحانه و تعالي : الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي .
و قال رسول الله -صلي الله عليه و سلم - : " ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله تعالي و مناصحة ولاة الامر و لزوم جماعة المسلمين .
{ فاحفظا } انما اتي ينون التوكيد المنقلبة ألفا للقافية ، لاجل زيادة التأكيد في الحفظ المؤيد بالعمل .

{ و } السابع : { طيب ثوب } و طيبه علي قسمين .
ظاهرا ؛ كعدم وجود قذر به و كونه طاهرا مطيبا بشيء من الروائح الجميلة.
و باطنا ؛ ككونه من حلال و لو من شراميط الكيمان لتكون الفائدة أتم و ابلغ و اعظم في التنوير و القاء النور علي النور.
{ ثم كن مستيقظا } للخواطر الرديئة التي ترد عليك في حالة الذكر فأنفها كلها بشدة من غير تفرقة بين مليح أو غيره اذ المبتدي هذا حاله .

{ و } الثامن : { طيب المجلس } اي محل جلوسك بان تبخره بشيء من الروائح الذكية كالعود و المصطكي ، و كذا ثيابك بمسك او عطر .

قال -صلي الله عليه و سلم - : " تطيبوا فاني أحب الطيب و الله يحبه و أخي جبريل ".
و قال - صلي الله عليه و سلم - : " حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب " الحديث

{ و } التاسع : { انف كل مو*جود عن القلب } حال الذكر سوي الله تعالي بقول لا إله إلا الله ، فإن الحق غيور لا يحب ان يري في قلب الذاكر غيره ، و لولا ان الشيخ له مدخل عظيم و باب مستقيم في تأديب المريد لما ساغ للمريد ان يتخيله بين عينيه ، و انما اشترطوا نفي كل موجود من القلب ليتمكن لهم تأثير الذكر في القلب ، ثم يسري ذلك المعني الي سائر الجسد، فيكون قد صادف قلبا خاليا فتمكنا .
{ و هكذا رووا } كابرا عن كابر بالحفظ و الضبط من غير خلال بشيء عن رسول الله -صلي الله عليه و سلم - عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل و علا ، ثم ما زالت يرويها تقي عن تقي حتي وصلت الينا فجازاهم الله عن الامة خيرا .

{ و } العاشر : { الذكر } قال الامام الغزالي قدس الله سره ؛ الذكر حقيقة هو استيلاء المذكور علي القلب و انمحاء الذكر في الذكر ، لكن له ثلاثة قشور بعضها اقرب من بعض الي اللب ، و اللب و راء القشور الثلاثة ، و انما (كلمة غير واضحة) القشر لانه طريق اليه ، فالقشر الاعلي ذكر اللسان فقط، فلا يزال الذاكر موالي الذكر بلسانه و يتكلف استحضار القلب معه حتي يحضر، و لو تركه لاسترسل في اودية الافكار حتي يشارك القلب اللسان ، فعند ذلك تمتلئ الجوانح و الجوارح بالأنوار و يطهر القلب من دنس الاغيار .

و الذكر له مراتب : فيكون اولا باللسان ثم بالقلب ثم بالنفس ثم بالروح ثم بالعقل ثم بالسر. و رزق الظاهر بحركة الأجسام ، و رزق الباطن بحركة القلوب ، و رزق الاسرار بالسكون، و رزق العقول بالفناء عن السكون حتي يكون العبد ساكنا مع الله في الأغذية قوة في الارواح ، و انما غذاء الاشباح و قوة الارواح و القلوب ذكر علام الغيوب. قال تعالي [الا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] .

فإذا ذكرت بلسانك ذكر مع لسانك الجمادات كلها ، فاذا ذكرته بقلبك ذكر مع قلبك الكون و ما فيه من عوالم الله ، و اذا ذكرته بروحك ذكر معك حملة العرش و من طاف به من الملائكة المقربين الكروبيين و الارواح المقربون ، و اذا ذكرته بسرك ذكر معك من فوقهم من العوالم الي ان يصل الذكر بالذات العلية المقدسة.

{ تنبيهات * الاول } اذا ذكر الشخص بلسانه و نظر بقلبه الي الله تعالي و داوم علي هذا الوجه يحصل في الاعضاء و المفاصل بعض مرض ، و يأخذ قلبه في الوجع مع قليل حرق.
اللهم لا تحرم طالبيك من هذا الوجع ، و وفقهم ان يشكروك علي هذة الاوجاع.

و منشؤها ان الذكر يقطع اللذات و الحظوظ التي تمكنت في قلبه و اعضائه و جوارحه ايام الغفلة ، فيكون هذا ابتداء نفوذ الذكر في قلبه ، فإذا زادت مواظبته علي الذكر يصل أثر ذلك الي الروح ، فتذكر الروح و تجلس علي سرير القلب بالخلافة و تحكم علي الحواس الظاهرة و الباطنة، فتنعزل النفس و تكون من رعايا الروح ثم يصل اثر ذلك الي السر.

{ الثاني } من خواص الذكر اذا داوم المريد عليه ان يصل أثره الي جميع الاعضاء و يظهر تصرفه في الجوارح و الاعضاء ، فإذا وصل الي عضو يحصل فيه ضربان مثل ضربان العروق النافضة ، و تكثر الاختلاجات حتي لا يبقي منه جزء من لحمه و لا من عظمه الا و يجد فيه حركة و اختلاجا و قد تقوي مع الملازمة علي الذكر ، حتي تصير اصواتا و كلاما حتي يسمع العبد من جميع جوارحه و اجزائه اصواتا بل يسمع من قلبه لله اسماء او اذكارا لم يسمعها قط من احد ، و لم يرها في كتاب بعبارات مختلفة ، و ألسن متتابعة لم يسمعها ملك و لا آدمي.

{ الثالث } في ذكر القلب و الاستحضار يرد علي الذاكر احوال بحيث يتوهم انه يربو و يعظم حتي كأنه أكبر من كل شيء ، ثم يرد عليه من الحق قهر من الخوف فيرجع الي حاله الاول، و ها هنا يخاف عليه من النفس و الشيطان فيقصر في

الذكر بالتصريح ، فيرجع فتأخذ روزنة قلبه في الانسداد كما اخذت في الانفتاح بالتدريج ، حتي تنسيه بالكلية فتكون تحت قهر ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)) .

و من عرف طريقا ثم اعرض عنها عذبه الله عذابا اليما لم يعذبه احدا من العالمين و هذا اقبح من الامتناع في حال الشروع ، اذ مثله مثل من كفر بعد أن آمن ، فيجب علي الطالب ان يكون ذكر الله نصب عينيه ، و لا يصرف نفسه عنه طرفة عين ، و يستوعب جميع اوقاته في الذكر ، و يجتهد ان لا يخلو نفس من انفاسه من ذكر الله تعالي ، و ليتقرب الي الله بافضل الاعمال ، و أفضلها عندهم ان يسلم نفسه الي الذكر و يفني فيه حتي يغيب عن جميع الاشياء حتي عن نفسه و عن الذكر بالمذكور ، فإذا فني الذاكر عن حسه و دواعي نفسه و لم يبق فيه غير الله ، صار القلب بيت الحق فيخرج الذكر من غير قصد و لا كلفة ، و حينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به و يده التي يبطش بها و رجله التي يمشي بها و اذانه التي يسمع بها، قد استولي الغني الجواد علي الفؤاد فملكه ، و علي الجوارح فصرفها فيما يرضيه ، و علي الصفات من العبد فقلبها كيف شاء في مرضاته ، فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف و تتبعه الاعمال بالطاعات لذة و نشاطا ، فإذا لازم الشخص الذكر استبدل الذكر الانسي بالذكر القدسي، و ترقي من ضيق اذكروني الي فضاء أذكركم ، فيزداد بالشرب عطشا و القرب من المذكور شوقا الي القرب منه.

{ الرابع } و حيث لازم الذاكر همته في الذكر ، و لم يلتفت الي الواردات و لا الي الكرامات ، و لم يلاحظها نال المراد، و ترد عليه علوم حتي يظن انه فتح عليه بعلوم الاولين و الآخرين ، فإذا لاحظ ما يرد عليه من العلوم فقد أساء الأدب و استحق العقوبة ، و عقوبته ان يرد الي حال الفهم.
و الفرق بين الفهم و العلم : ان العلم وجود يرد علي القلب من حيث العلم، و الفهم نظر الي ذلك العلم ، فإذا نظر الي الفهم فقد أساء و استحق العقوبة ، و عقوبته ان يرد الي حال الغفلة.

و الذكر المخصوص الذي تقدم لك اشارة الي بعض ثمراته هو < لا إله إلا الله >
لأنها أفضل العبادات كما قال -صلي الله عليه و سلم :-
" أفضل ما قلت أنا و النبيون من قبلي لا إله إلا الله ". "
و تقدم ما يشفي في الاركان من الفضل و هي آية من كتاب الله تعالي .
قالوا ؛ و يجب علي المريد ان يلاحظ ذلك في ابتدائه لئلا يفوته الثواب عند عدم ملاحظته بالغفلة ، فيحصل ثواب التلاوة .
و حيث علمت ذلك فليحذر الذاكر اللحن فيها . قال تعالي :وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا
و قال-صلي الله عليه و سلم - : " رب قارئ و القرآن يلعنه ".
فيجب تجويدها علي تاليها و معرفة مبانيها .
و قد اجمع القراء علي ان لا في الذكر تمد من حركتين الي ست ، و إله حركتين لا غير ، و إلا الله تمد من حركتين الي سبع ألفات ، اي اربع عشرة حركة ، و ان يحقق الهمزة من إله ، و ان يفتح هاءه فتحة خفيفة ، و ان لا يفصل بين الهاء بين إلا الله ، وان يحقق همزة الله ، و ان يسكن الهاء آخر لفظ الجلالة.

قال سيدي احمد بن شرقاوي في كتابه شمس التحقيق نقلا عن المحقق الامير :
و أعلم ان جميع كلمة التوحيد مرققة ، فلا يفخم فيها الا لفظ الجلالة فقط، و اما مخارج حروفها فقد انحصرت حروفها في اربعة ؛ اللام و الالف و الهمزة و الهاء، فمخرج اللام من طرف اللسان يوضع في اصل الثنايا العليا
و مخرج الالف من أصل الجوف خارجة من محض النفس
و مخرج الهمزة و الهاء كلاهما من الحلق غير ان الهمزة اشد من الهاء و ايبس
و نهي العلماء عن السكت علي لا إله لما فيها من ايهام التعطيل ، بل يصله بالاستثناء و الاثبات بقوله إلا الله بسرعة ، خلافا لما سمعته من بعض هؤلاء الذين ينسبون الي الفقراء الصوفية و ما هم منهم، و لكنهم قوما لا يفقهون الي أن قال : و ليحذر مما يقع لبعضهم من تفخيم اداة النفي ، و ربما مال بالفها الي جهة الشفتين فتصير كالواو، او لجهة وسط اللسان و ما فوقه فتصير كالياء ، او يبدل همزة إله ياء ، او يشبع الهمزة فيتولد منها ياء ، او يزيد في الف إله علي المد الطبيعي ، او يسكت هناك سكتة لطيفة ، او يشبع همزة إلا فيتولد منها ياء، او يثبت ألفها فإنه لحن ، بل يجب حذف الالف الاخيرة لالتاقء الساكنين ، و

هؤلاء الجهلة يثبتونها و يمدونها و يتفننون في مدها ، و بعضهم يمد هاء و يولد من اشباعها ألفا ، بل سمعت بعضهم يثبت همزة الله و يمدها حتي تصير كالاستفهام ، و كل ذلك مخالف لما نطق به رسول الله -صلي الله عليه و سلم - و أمر به.

و تارة يزعمون انهم انجذبوا فيأكلون بعض حروف هذة الكلمة و يحرفونها و ربما لم تسمع منهم الا اصواتا ساذجة ، او شيئا يشبه نهيق الحمار، او هدير الطائر الي ان قال : نعم المأخوذ عن حسه الغئب عن نفسه كل ما جري علي لسنه لا لوم فيه.

و قال فيها و علاماتها اي الغيبة : هز القلب و الجوارح و طرش الاذنين و عمي العينين و جولان الوارد في القلب كجولان الرعد في السماء حتي يغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب ، ولا يبقي يعرف ما يقول و لا ما يقال له ، فيسلم قياده الي وارده يتصرف فيه كيف شاء.

(تنبيه)

اعلم ان الذكر منفردا انفع لاصحاب الخلوة ، و جماعة انفع لمن لا خلوة له ، و ان الجهر أنفع لمن غلبت عليه البشرية و الوسواس و القسوة من اصحاب البدايات.

و السر أنفع لمن غلبت عله الجمعية و شاهد الوحدة في الكثرة و الكثرة في الوحدة من اصحاب السلوك ، و أن افراد لا إله إلا الله افضل للسالكين حتي تحصل لهم الجمعية مع الله تعالي بقلوبهم .

فإذا حصلت فذكر محمد رسول الله معها افضل. و بيان ذلك أن ذكر محمد رسول الله اقرار تكفي في العمر مرة واحدة ، و المقصود من تكرار التوحيد كثرة جلاء القلب ليزول الرين و الشبه و الشرك الخفي و رؤية الاغيار بكثرة التوحيد ، فإذا زال ذلك حصلت له الجمعية و المعية مع الله و رسوله من غير فرق، فيري الوحدة و يري فعلها لا غير ، فيحصل له كمال المشاهدة و حينئذ يصلح له ذكرهما معا.

و الحادي عشر : ذكره بقوله { فاستحضرن صاح له معناه }
بالقلب و يكون الاستحضار علي حسب درجة المشاهدة في الذاكرين بشرط ان يعرض علي شيخه كل شيء ترقي اليه من الاذواق ليعلمه كيفية الادب فيه ، و ذلك في كل مرة فان كان الغالب عليه ظهور البشرية و الوسواس فعليه ان يقول بلسانه < لا إله إلا الله > و بقلبه < لا معبود بحق الا الله>
و لصفاء القلب و طلب شيء من المعرفة و الشوق و الذوق ؛ يقول بلسانه لا إله إلا الله و بقلبه لا موجود الا الله.

و الثاني عشر : ذكره بقوله { ثم خيال الشيخ صوره } دائما نصب عينيك { و لا * تكن عنه تغفل} ما دمت في حالة الذكر ، هذا عندهم من آكد الآداب ، فانه ان استغني عن كل الشروط المتقدمة ، لا يستغني عن هذا الشرط ، لان المريد يترقي به الي الادب مع الله سبحانه و تعالي ، و المراقبة له جل و علا .
كما قال { ترقي للعلا } بسبب ذلك، فان من لا شيخ له فإمامه الشيطان .

ثم ذكر القسم الثالث بقوله { ثم الثلاث } التي تجب علي المريد ملاحظتها بعد الذكر أذكرها لك علي الترتيب :

الاول منها : { الصمت } باللسان { و السكون } بالاعضاء مع الخشوع و استحضار القلب { مترقبا } و منتظرا { لوارد يكون } اي يوجد.
{ و } الثاني : { نفسا يزمه } اي يمسكه فلا يدعه يخرج حتي ينتهي صبره يفعل ذلك { مرارا } من ثلاثة أنفاس الي سبعة الي اكثر بحسب قوة عزمه ، هذا كالمجمع علي وجوبه عند الاشياخ حتي يدور الوارد في جميع عوالمه ، فتتنور بصيرته و تنقطع عنه خواطر النفس و وساوس الشيطان و تنكشف له الحجب و هو معني قوله { تأتي الفيوضات له } من عند الله سبحانه و تعالي { مدرارا } اي كثيرة جدا ، و ذلك بسبب ورود الوارد عليه { فربما يعمر } ذلك الوارد { الوجودا } بالف الاطلاق اي الانقطاع من الخلق الي الحق { في لحظة } لطيفة من الزمن { و يورث الشهود } للقلب { بما } اي فتح عظيم لا نظير له { به ليست تفي الرياضة * في مدة } .

قالوا : و قد يعمر الباطن بالوارد في تلك اللحظة عمارا لا تفي به المجاهدة و الرياضة في اكثر من ثلاثين سنة.
{ اذ سحبه فياضة } اي امداده عظمية ، و في المثل : في لمحة تقع الصلحة .
و ذلك { كأن علي قلبك يا ذا يرد * وارد زهد في الدنا } فيجب عليك التمهل فيه حتي يتمكن فيك الزهد ، و تصير تتنغص اذا فتح عليك بشيء من الدنيا عكس ما كنت عليه قبل { فتسعد } بذلك كما تقدم في فضل الزهد و أهله .
أو ورد عليك وارد تحمل أذي ، فيجب عليك التمهل فيه حتي يتمكن و يستحكم و تصير اذا قام عليك الوجود كله بالاذي لا تتحرك منك شعرة ، كما لا يتحرك الجمل من نفخ الشاة ، لإنك قد شاهدت الاغيار أمثال أفياء في ذلك الوارد ، و رأيت الله للكل فاعلا ، و هكذا من وارد عليم و فتح و حب و مراقبة .

{ان يقبل القلب ما قد وردا } عليه من الواردات المتقدمة { فلا تري } بعد ذلك في السلوك الي الله تعالي { بأس } اي شدة { عناء } اي نصب و تعب { وردي } اي هلاك ، فانك بالقبول للوارد و الترقب له قد ظفرت به فلا خوف اذا، بخلاف ما اذا لم تترقبه فانه لا يحصل لك تحقق بذاك المقام الذي أتي به الوارد .
قال تعالي : [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ]
فهذة المسكنة وقت اخراج الصدقات للفقراء و المساكين، لا الاغنياء و المتكبرين فإذا لم يكن عند الذاكر اشتياق و افتقار لا يعطاه ابدا.
قال حجة الاسلام الغزالي قدس الله سره :
و لهذة المسكنة ثلاثة آداب : ان يستحضر العبد ان الله تعالي مطلع عليه و هو في قبضته و بين يديه ، و ان يجمع حواسه بحيث لا يتحرك منه شعرة واحدة كحال الفأرة عند صيد الهرة لها، و ان ينفي الخواطر كلها و يجري معني الله الله علي قلبه و هذة الآداب لا تتم المراقبة الا بها.

{و } الثالث : { منع شرب الماء } مطلقا قليلا او كثيرا { اذ ذا } ك الشرب الممنوع { يطفي * حرقة شوق } فإن الذكر يورث حرقة و هياما الي المذكور الذي هو المطلوب الاعظم من الذكر ، و شرب الماء يطفئ تلك الحرارة ، وهذا الحال { للسلوك ينفي } لانه كلما تجدد شوق أطفيء ، و لا سلوك الا بالشوق، و قوله

{ عقيبة } اي الذكر متعلق بمنع ، هكذا أكد الاشياخ بمنعه { الا بعيد } بالتصغير لاستعذاب اللفظ او لان { ساعة و } هي بمعني او { نصفها } قليل جدا ، فان الاكمل ان يترك ذلك حتي يسكن اضطراب قلبه بسكون تلك الحرارة التي أحدثها الذكر .

{ و ليخفي التياعه } اي احتراقه فان ذلك اكمل في الادب ، و ارجي للفتح ، و اقرب للوصول، هذاما يجب علي الصاحب الذي لم يبلغ حد الخروج علي الحس.

{ و } حكم { من همي } اي فاض حتي طفح و انصب { بالوجد } أي شدة الشوق { منه القدح } المراد القلب { و } الحال انه { لم يطيق صبرا } عن الشرب { له قد سمحوا } لانهم لو منعوه بعد تحققه بهذين الوصفين لكانوا متجاوزين حد الانصاف.

ثم ان المصنف ذكر علامة لذلك بقوله { دليله يأخذ فوق العادة* منه } فان تجاوزه الحد و ارتكابه هذة الحالة التي توجب ضرر السليم ، دليل علي انه ما فعل ذلك و هو غائب عن حسه مأخوذ بانوار قدسه قد تمكنت منه نار الشوق و ذكت بين اضلاعه و ليس علي محب ملام فإن كنت ايها المريد علي ما وصف فلا لوم عليك و لا حرج.

{ و الا } فهذا الفعل المشعر بما تقدم { لم تجزه } لك { السادة } اهل الكمال الواصلون في الطريق و لذلك لأوجه :

الاول : اطفاء حرقة الشوق

الثاني : انه اشعار بدعوي

الثالث : انه سوء ادب بين يدي الاشياخ

و كل واحدة توجب سد الباب و البعد عن الاحباب ، فلم يجيزوه لذلك و لانه { كذاك طبا } اي في الطب { شربة} اي الماء { ممنوع } عقب الذكر لانه يفسد الرئتين و يضر بالطحال و الكبد، فهكذا يجب ان يكون المريد .

{ و من يخالف } للشروط المتقدمة { شربنا ممنوع } فلا يذوقه و لا يظفر بجرعة منه ، و يحتمل ان الشرب بالضم الجرع ، او بالكسر الماء، و المراد به هنا الفتح بانوار الطريق.

إذا علمت ذلك ايها المريد و دققت فيه نظر الفكر { فأحرص علي هذي } الآداب {الثلاث } التي بعد الذكر { ذا } اي ذات و حذف التاء لضرورة النظم ، اي صاحبة { البها } اي الحسن الواضح فان { نتيجة } اي ثمرة و فائدة { الذكر له } اي ذلك المريد { تبدو } و تظهر { بها } اي بسبب العمل بها و المحافظة عليها ، فانها من آكد الآداب المتقدمة .

(تنبيه)

للطالب آداب أخر بالنسبة الي الذكر أردت سرد بعض منها تتميما للفائدة.

فأقول : اذا كان الطالب يذكر مع الجماعة و أراد ان يدخل في مجلس الذكر ، فينبغي له ان يقضي مهماته الشاغلة له عن الحضور في الذكر ، و يلبس احسن ثيابه و الابيض افضل و يأخذ الطيب و السواك قبل حضوره ، و يكون علي طهارة كاملة ، و يصحب شيئا من العطريات في فمه اذا لم يكن صائما، و اذا دخل محل الذكر و كان مسجدا صلي به ركعتين التحية ، فاذا لم يكن الذكر قائما قبل يد استاذه و سلم علي اخوانه ثم يجلس متأدبا مطرقا صامتا او مشغولا بالذكر سرا و هو أولي.
و إن رأي الذكر قائما قال في سره دستور يا أهل الطريق دستور يا أهل القدم و دخل ثم أخذ في الذكر ، و اذا ارادوا افتتاح الذكر اولا استأذنوا بقلوبهم أصحاب الطريق و القدم بعد الاستئذان من الله و رسوله.

و أفادنا الأشياخ ان المريد في الابتداء يستأذن اولا استاذه بقوله : دستور يا سيدي فلان ، و يكون استئذانه في دخول حضرة النبي -صلي الله عليه و سلم - اذ هو بابه اليها ، ثم يقول دستور يا رسول الله و هو مستحضر ذاته الشريفة ، كانه بين يديه مستأذنا منه صلي الله عليه و سلم في دخول حضرة الله سبحانه و تعالي ، اذ هو -صلي الله عليه و سلم - باب الخلق اليها ، ثم يقول دستور يا الله مستأذنا في الجلوس في هذة الحضرة المقدسة .

و عند ارادة الختام يستأذن من الأعلي فالأعلي متداليا عكس الدخول.
ثم يأخذون في الذكر بسكينة و وقار و خشوع بصوت متوسط علي الهوينا من غير تمطيط ، و عليهم مراعاة الوفاق في الاصوات علوا و خفضا و تحسين قراءة الورد ان كان بالوقف و السجعات ، لان في ذلك نشاطا للنفس و لذة للروح و راحة للسر و قهرا للشيطان و فرارا ، و لا يكثر احدهم الالتفاتات ، و لا يعبث بلحيته ، و لا يلعب بيده و لا بشيء من ثيابه لانه في حضرة الله عز و جل .
فإن لعب و عبث طرد من هذا المقام الجليل و المجلس الكريم.
و لا ينظر بعضهم بعضا فانه مانع من الحضور ، بل يغمض عينيه ، و لا بأس من التمايل يمينا و شمالا مع كمال الادب ان كان الذكر ب < لا إله إلا الله > و يبتدي النفي من جهة اليمين و ينطق بإله بين ثدييه و إلا الله يضرب بها جهة قلبه لئلا يشهد القلب غير الله تعالي .
و ان كان الذكر بالجلالة رفع رأسه و ضرب به صدره ،و ينبغي ان يكون معه منديل يمسح بها ما يعرض عليه من بصاق و نحوه ، و لا يخرج لذلك الا ان انحصر ببول او غائط او ريح.

و إذا اراد المقدم عليهم ان بالادب أن يفتتح الذكر او يسكتهم او يرفع الذكر او يخفضه لهم ، قال دستور يا الله بقلبه و عليه ان يحذر من التمطيط و العجلة الشديدة لانها تخرج الذكر عن حده الشرعي ، والاقتصار في المجلس اولي من التطويل لان المجلس اذا طال صار للشيطان فيه مدخل ، ما لم يحصل خشوع و لذة ، فلا يقطع ذلك عليهم ، فاذا فهم مللهم استأذن بقلبه و ختم و يقول : اللهم ان ذكرك لا يمل منه و انما عبيدك هؤلاء منهم الضعيف و ذو الحاجة و مرادي ان اختم بهم .

و اذا قرأ القارئ آيات من القرآن الكريم ، او قال الحادي شيئا من كلام القوم ، أطرق كل منهم برأسه و سكن اعضاءه و القي كليته لسماع ذلك و عرض علي نفسه ما يسمعه متأولا ذلك بما يليق به ، فان راي ذلك موافقا لحاله حمد الله تعالي بقلبه ، و الا أخذ في الاستغفار و طلب التوبة بالقلب، و لا ينهنه و لا

يتصعب و لا يهتز و لا يتأوه و لا يقول شيء لله و لا أعد القول و لا نحو ذلك ، فإنه سوء أدب مع الله و رسوله خصوصا بحضرة الشيخ .
و اذا قال الشيخ شيئا من هذا لمصحة رآها فلا يقتدي به في ذلك و لا يقول مثل قوله.
و لا ينبغي للشيخ ان يقر احدا علي الصراخ بل يزجرهم عن ذلك كله ، الا ان تحقق انه عن غلبة قوية و حال صادقة.
و ليحرصوا ان يكون الذكر علي وتيرة واحدة و طريقة مستقيمة ، و ليس لاحدهم ان يغير الطريقة من حدر الي ترتيل و عكسه مثلا حتي يرسم الشيخ او المقدم عليهم ، و كذا في البدء و الختم.

{ و اعلم بان الصوفي } بحذف الياء نطقا لاستقامة الوزن : اي الصوفي الحقيقي الشرعي المحمدي القدم هو { من في ذا } الطريق بالمحافظة علي آدابها { و في } بعهده وقام بها حق قيام حتي تخلي عن كل رذيلة { ثم تحلي بصفات المصطفي } - صلي الله عليه و سلم -، كالعلم و العمل و الصدق و العفاف و الجد و الكرم و حسن الخلق و الرأفة و الرحمة ، فإنه حينئذ قد { صافي } الحق سبحانه و تعالي في عبادته { فصوفي } من قبله تعالي بالفيض و القرب و المشاهدة { و ب } سبب { هذا} اي اخلاصه و خلوصه { قد سمي } بالصوفي في الدنيا بالطاعة له تعالي و الترقي في المعارف ، و في الاخرة بالحسني و زيادة.
{ لا في } اي بسبب { لباس الصوف يدنو } و يقرب من حضرة القدس و صفاء الانس { المنتمي } لهذا الطريق ، فان لبس الصوف لا دخل له و انما هو مجرد لباس.

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ** و لا بكاؤك ان غني المغنونا
و لا صياح و لا رقص و لا طرب ** و لا اضطراب كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر ** و تتبع الحق و القرآن و الدينا

ثم ان المصنف قدس الله سره بين الحقيقة بقوله :

{ و ان ذا } الطريق { طريقتنا } معشر اتباع القدم المحمدي الذي أخذناه عن السادة كابرا عن كابر { بالحال * يسلك } و تنال ثمرته { لا بالقال } و القيل و الدعاوي الباطلة { و } لا ب { المحال } كلبس الصوف و ارخاء الشعور و حمل السبح و الجلوس علي السجاجيد و تكثير التلاميذة لضرب العوائد عليهم ، و الرقص في الاذكار و الصياح و التباله الي غير ذلك من خزعبلات اهل هذا الزمان ، و ترهاتهم الفاسدة ، و قد ألف في الرد عليهم من أئمة التحقيق اهل هذا الشأن قوم كثيرون في العصر الخالية و في هذا العصر.
و من ذلك رسالة قطب الدهر و فريد العصر البحر الخضم و الطود الأشم سيدنا الشيخ احمد بن شرقاوي نفع الله تعالي به المريدين ، و افاض علينا من بركاته و المسلمين.